

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
المرجع:

السّلام الحجاجية في خطب الحجّاج بن يوسف التّقفي

مذكرة معدة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر
الشعبة: لغة وأدب عربي
التخصص: أدب عربي قديم

إشراف الأستاذ:
عزوز سطوف

إعداد الطالبتين:
* - حياة قويدر
* - زينب تواتي

السنة الجامعية: 2016/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعاء

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

"يا ربي علّمني أن أحب الناس كما أحب نفسي

وعلّمني أن أحاسب نفسي كما أحاسب الناس

وعلّمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوّة

وأن الانتقام هو أول مظاهر الضعف

يا ربه لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نعمت ولا باليأس إذا أخفقت

وذكّرني دائماً أن الإخفاق هو التجربة الأولى التي تسبق النجاح

يا ربه إذا أعطيتني نجاحاً فلا تأخذ تواضعي

وإذا أعطيتني تواضعاً فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي

وإذا أساء للناس فامنحني شجاعة الاعتذار

وإذا أساء الناس إلي فامنحني شجاعة العفو"

اللهم آمين

شكر وتقدير

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بالحمد والشكر لله تعالى على ما وهبنا إياه من العزم والمقدرة على انجاز هذا العمل ، وكذلك نتقدم بالشكر الجزيل لكل من مد يد العون وساهم في تدليل الصعوبات التي واجهتنا أثناء انجاز هذا العمل.

وأخص بالشكر الأستاذ الفاضل "عزوز سطوف" المشرف على هذه الرسالة على كل ما بذله من وقت وجهد في توجيهنا وإرشادنا ، فجزاه الله عنا خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناته .

وأخيرا نشكر أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه على بذلوه من وقت ومجهود في قراءة هذه الرسالة وتقييمها .

إهداء

الحمد لله فائق العجب والنوى، وخالق العبد وما نوى، والمطلع على لطن الخمير وما حوى، والطلاء والسلام على خير خلق الله محمد المصطفى وعلى آله وصحبه و من اتبع هداه بإحسان إلى يوم الدين.

إلى روح والدي الطاهرة رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

إلى والدتي الكريمة حفظها الله وأطال في عمراها.

إلى إخوتي وأخواتي.

إلى خطيبي وعائلته الكريمة.

إلى من كنّ نعم السند، رفيقاتي الدرب صديقتي كل باسمها.

و إلى كل الأهل والأصدقاء.

حياة

إهداء

إلى من أضاءت لي دربي وملاً حبها قلبي إلى من سارت معي في مشواري الدراسي
وساعدتني بكل ما تملك ، ووقفت معي وشهدت معي وقوتني أمي الحبيبة.

إلى أبي محمد.

إلى إخوتي الأعمام: بلال ، يعقوب ، عبد المؤمن.

إلى أختي العزيزة: رقية

إلى صديقاتي العزيزات: فاطمة، خولة، فرح، حياة.

زينب



هتدته



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

الحجاج نشاط بدأ الإنسان ممارسته بعد تمكنه من التواصل مع غيره، أو لنقل عندما بدأت تتكون لديه الأفكار والآراء والقيم واحتاج أن يتقاسمها مع غيره في إطار عملية التواصل اللغوي.

ومن ذلك نجد أن كل خطاب يهدف إلى تحقيق غاية معينة ويسعى إلى التأثير على الغير، وتعتبر دراسة النص الحجاجي موهلة في القدم، حيث وجدت النظرية الحجاجية إرهاباتها التنظيرية الأولى عند الفيلسوف اليوناني أرسطو، ثم شهدت هذه النظرية انبعثاتاً جديداً مع نخبة من الباحثين من بينهم أوزفالد ديكر وبنظرية الحجاج في اللغة التي تتدرج ضمن النظريات الدلالية الحديثة التي تعتبر أن الوظيفة الأساسية للغة هي الوظيفة الحجاجية بالإضافة إلى الوظيفة التواصلية، وعليه أصبحت دراسته في حدود هذا التوجه اللساني تتصرف إلى البنية التركيبية للغة ذاتها، وعليه فإنه يرد في الخطاب الحجاجي تعدد الحجج التي تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، إلا أنها تختلف فيما بينها من جهة قوة الحجة وضعفها أدى ذلك إلى تراتبية منطقية تحكمها أطلق عليه ديكر " السلم الحجاجي"، ويعتبر هذا الأخير أهم مرتكزات نظرية الحجاج في اللغة.

وانطلاقاً من هذه النظرية التي تسعى إلى إبراز الحجج باعتمادها على البنية اللغوية للأقوال، ثم استقرت لنا فكرة هذا البحث والمتمثلة في: " السلم الحجاجية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي".

وقد عمدنا إلى اختيار هذا الموضوع نتيجة أسباب تمثلت في كون موضوع الحجاج من الموضوعات الحديثة في الساحة اللسانية، وأيضاً رغبتنا في فهم نظرية السلم واستثمارها في تحليل النصوص وتوجيه دلالتها، وأيضاً ميولنا لدراسة خطب الحجاج بن يوسف الثقفي لما لها من ميزة جمالية إقناعية.



وهذا البحث يطرح كغيره من البحوث إشكالية يمكن محورتها في النقاط التالية: ما هي السلام الحجاجية؟، وما هي خصائصها ومكوناتها؟، وما هي الأسس والإجراءات التي تضبطها؟ وما هي تمظهرات السلام الحجاجية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي؟ ومن أجل الإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة جاء الفصل الأول في مبحثين، المبحث الأول تناولنا فيها الحجاج والسلام الحجاجية، والمبحث الثاني تطرقنا فيه إلى مفهوم الخطابة وأهم عناصرها ومميزاتها والفصل الثاني أفردناه لتطبيق آليات السلام الحجاجية في خطب الحجاج، وأخيرا الخاتمة التي تناولنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها .

وقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود، واللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي، استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، بالإضافة إلى كتب تراثية كالعقد الفريد لابن عبد ربه، والبيان والتبيين للجاحظ، كما اعتمدنا على مجلة عالم الفكر. وقد اعتمدنا في عرض مادة هذه الفصول على المنهج التداولي الذي من شأنه أن يساعدنا في الوصول إلى النتائج المرجوة.

ومن طبيعة البحث الأكاديمي مواجهة بعض الصعوبة ونذكر منها: تشعب موضوع الحجاج الذي يصعب الإحاطة به، وأيضا قلة المصادر والمراجع المتخصصة وصعوبة الطرح في الموجودة منها، ومع ذلك فإننا نأمل أننا قد حققنا ما كنا نصبوا إليه ونتمنى أن يكون عملنا فيه بعض الإفادة، ونعتذر عما ورد فيه من هفوات نتيجة قصور علم أو ضعف معرفة.

وفي الختام نحمد الله على فضله وكرمه، ونتوجه بالشكر الجزيل والامتنان الخالص إلى الأستاذ الفاضل " عزوز سطوف" الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل، فيسّر علينا ما تعسّر بملاحظاته وتوجيهاته القيمة التي رافقت البحث منذ أن كان فكرة إلى أن اكتمل، راجين من المولى أن نكون قد وفقنا في معالجة هذا الموضوع.



الفصل الأول

السلام الجبائية والخطابة

المبحث الأول: الجباج والسلام الجبائية مفاهيم ومصطلحات

المبحث الثاني: الخطابة وأهم عناصرها ومميزاتها

المبحث الأول: الحجاج والسلام الحجاجية مفاهيم ومصطلحات

أولاً: الحجاج

كثر الحديث عن الحجاج ودوره الناجع في مقارنة النصوص والخطابات العلمية والثقافية والإنسانية، وقد تناولته بالدراسة والتحليل أبحاث كثيرة بين عربية وغربية يصعب حصرها حيث أصبح الحجاج ذا استعمالات متعددة السياقات والمرجعيات، حيث تعددت أشكال ظهوره وحضوره في النص بين حضور كلي أو جزئي أو ضمني في مجموعة من الخطابات سواء كانت فلسفية أم أخلاقية أم أدبية أم قضائية أم اجتماعية أم فنية...، ويستمد معناه وحدوده من خصوصية الحقل التواصلية الذي يندمج في إستراتيجيته، حيث أصبح الحجاج واسع الانتشار مع انتشار وسائل الإعلام وتطورها ومع كثرة الاختلافات والصراعات والتطرف، فأصبح الحجاج أداة لمناقشة الأفكار، وغدا آلية مهمة في محاورة الأطراف المشاركة في عملية التواصل والحوار.

إن المتتبع لمصطلح الحجاج يجده متداولاً في الكتب، وتعددت تسمياته من حجاج إلى احتجاج أو محاجة، وقد ظهر هذا المصطلح في عدة مجالات لذا كثرت التعاريف حول الحجاج.

1 تعريف الحجاج

أ - لغة:

وردت معاني الحجاج حول مادة (ح ج ج) في المعاجم العربية منها:

لسان العرب لابن منظور حيث يشير في معجمه إلى الحجاج بقوله:

« الحجة هي البرهان، وقيل الحجة هي ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه

الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج؛ أي جدل، والتجاج التخاصم وجمع

الحجة حُجَجٌ، وَحِجَاجٌ وَحَاجَةٌ مَحَاجَةٌ وَحِجَاجًا نَازِعَهُ الْحُجَّةُ، وَحَجَّةٌ يَحُجُّهُ حَجًّا غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، أَي غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ... وَالْحُجَّةُ الدَّلِيلُ وَالْبِرْهَانُ،...»¹.

نجد ابن منظور يقرن الحجة بالبرهان حيناً و بالخصوصية حيناً آخر، فهو يفترض وجود تخاصم بين متخاطبين فيعمد كل منهما إلى حجة ودليل حتى يتغلب على الآخر ويفوز عليه، ومادام هناك خصومة فالجدال هو الذي يجسد صورة الخطاب الحجاجي لذلك قرن الحجة بالجدل.

أما القاضي الجرجاني في معجم التعريفات يقول: «الحجة ما دلّ به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد»²، فأساس الحجاج عند الجرجاني هو التركيز على دليل لإثبات دعوى أو قضية معينة، والحجة هي الدليل عنده.

أما ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة فيعرف الحجاج على النحو التالي:

«يَقَالُ حَاجَبْتُ فَلَانًا فَحَجَّجْتُهُ، أَي غَلَبْتُهُ بِالْحُجَّةِ، وَذَلِكَ الظَّفَرُ يَكُونُ عِنْدَ الْخِصْمَةِ وَالْجَمْعُ حُجَجٌ، وَالْمَصْدَرُ الْحِجَاجُ»³، ومنه يتفق ابن فارس مع الجرجاني في ربط الحجة بالخصومة

وقد ورد في أساس البلاغة أيضاً «حَاجَّ خِصْمَهُ فَحَجَّهُ، وَفَلَانٌ خِصْمُهُ مَحْجُوجٌ»⁴، أي أن المتكلم غلب خصمه بالحجة، ومحجوجٌ معناه مغلوبٌ، والشخص المتكلم هو المحاججُ الغالب، والسامع هو المُحَاجَجُ المغلوب؛ أي أنه اقتنع بحجة المتكلم.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، م2، ص228.

² - علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1045هـ، ج1، ص73.

³ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م، ج1، ص30، مادة(ح ج ح).

⁴ - محمود ابن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، دط، 1992م، ص113.

يتضح من خلال هذه التعريفات أن الحجاج في معناه اللغوي لم يخرج عن دائرة الخصام والجدل والإنكار وطلب الدليل والبرهان، حيث اعتبر اللغويون الحجة وسيلة يستعملها المتكلم للتغلب على خصمه أثناء المحاوره.

ويذكر حبيب أعراب «أن السبب الذي جعل هذه المفردات أي الحجة، الدليل والبرهان ترد بمعنى واحد في القواميس العربية هو وجودها ضمن دائرة البلاغة الإقناعية»¹.

كما ورد مصطلح الحجاج في القرآن الكريم في العديد من الآيات في القرآن الكريم:

منها قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

﴿2﴾، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

﴿3﴾، وقوله تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66)﴾⁴

وكلها جاءت بمعنى التخاصم والتنازع والتغالب من أجل الإقناع والإذعان لأحد الطرفين حيث فسر محمد الطاهر بن عاشور حاج بقوله: «معنى حاج خاصم وهو فعل جاء زنة المفاعلة، ولا يعرف "لِحَاجٍ" في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي أُشْتُقَ منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى

¹ - حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، م30، 30ديسمبر 2001م، ص109.

² - سورة البقرة، الآية 258.

³ - سورة البقرة، الآية 76.

⁴ - سورة آل عمران، الآية 65، 66.

مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة، وإن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل»¹

أما في معاجم اللغة الفرنسية نجد لفظة (argumentation) تشير إلى عدة معاني متقاربة أبرزها حسب قاموس " روبير " (le robert)²:

-القيام باستعمال الحجج.

-مجموعة الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.

-فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة.

أي بمعنى إتباع طريقة معينة في تقديم الحجج لتحقيق الإقناع في مناقشة معينة، كما أن argumenter تشير إلى «الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج، أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج»³.

وبذلك يكون الحجاج حسب "معجم روبير" هو استعمال الحجج في إثبات أمر ما أو الاعتراض عليه.

وجاء في قاموس "كامبردج" (Cambrige) أن: «الحجاج هو الحجة التي تعلق أو تبرر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما»⁴؛ أي أن الحجاج حسب ما تؤيد به فكرتك أو موقفك تجاه موضوع ما إما مساندتك لتلك الفكرة أم معارضتها، وهو يتفق في تعريفه مع معجم روبير.

¹ - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، تونس، دط، 1984م، ج3، ص32.

² - حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم فكر، ص99.

³ - حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ص32.

⁴ - حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة علم فكر، ص99.

ومن خلال المقارنة بين المعنى اللغوي للحجاج في اللغة العربية والمعنى اللغوي في اللغة الفرنسية والإنجليزية نجد تقاربا بينهما، وهو استعمال الحجة للدفاع عن موقف ما أو الاعتراض عليه، فالحجة دالة على الإثبات والدليل، والحجاج دال على التخاصم والمعارضة.

ب اصطلاحا:

يعد الحجاج مفهوما واسعا لهذا يصعب تحديده تحديدا دقيقا، فهو لم يبق محصوراً «في استعمالات خطابية ظرفية، بل صار بعداً ملازماً لكل خطاب على وجه الإطلاق، والسبب في ذلك أن كل خطاب حال في اللغة تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأولية والقاعدية لكل حجاج، أي عناصر الاستدلال والتدليل»¹.

لذلك نجد تباينا واضحا في مفهوماته، وهذا راجع لزاوية النظر ونوعية الخطاب (قانوني فلسفي، سياسي، أدبي، علمي...) فكل واحد قدم تعريفا حسب منظوره المعرفي ومرجعياته الفكرية، فهناك من عرفه من منظور بلاغي، وآخر من منظور فلسفي ومنطقي، ومن منظور تداولي، ومن منظور قانوني وغيرها من أنواع الخطاب.

تتاول الباحثون الحجاج من زاويتين ؛ «الأولى تُعنى بدراسة العلاقة بين المتكلم والمتلقي وما تحمله هذه العلاقة من استعمال آليات الإرسال ومراعاة حال المتلقين، أما الثانية فتعتبر الحجاج بنية نصية، وهنا يتم التركيز فقط على الجوانب اللغوية»².

وهذا التركيز على الجانب اللغوي جعل الحجاج يبدو بمظهر تواصلية من خلال ما يقوم به في العملية التواصلية؛ إذ أنه يأتي بشكل من أشكال التواصل والتخاطب والحوار.

¹ - حسن خميس الملح، الحجاج في الدرس النحوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع 2، م 40، أكتوبر-ديسمبر 2011م، ص286.

² - يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، مجلة الخطاب، دار الأمل، الجزائر، ع2، 2006م، ص286.

إن الحجاج يندرج ضمن « ما تطلق عليه علوم الاتصال و السلوك أو الموقف الخارجي الذي يهتم بكل ما يتعلق بطريقة إيصال الرسائل وفهم دلالاتها الاجتماعية في السياقات التي ترد فيها»¹.

وهذا يدل على اتساع هذه العملية وشموليتها لتشمل المتكلم والمخاطب والرسالة الكلامية والسياق.

ونجد أبا الوليد الباجي يقول حول الحجاج «هذا العلم من أرفع العلوم وأعظمها شأنًا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم»²؛ أي أن الحجاج علم رفيع عظيم الشأن، والغاية من هذا العلم هو معرفة الحقيقة وتمييزها عن الخطأ والمحال، ولولا الحجاج لما اتضح أي رأي ولا عُرف الصحيح من السقيم، وهنا تظهر أهمية هذا العلم وقيمه.

وفي خضم هذا التعدد الدلالي للحجاج واستعمالاته لا يسعنا إلا أن نحاول حصره في مجال خطابي واحد هو البلاغة، حتى نتمكن من تقديم مفهوم واضح للحجاج في هذا المجال.

¹ - بلقاسم دفة، استراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية، مجلة المخير، ع10، 2014م، ص496.

² - أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح عبد المجيد التركي، دار المغرب الإسلامي، المغرب، ط2، 1987م، ص8.

ب-1/ مفهوم الحجاج عند أرسطو:

تعود جذور هذا البحث إلى الفترة اليونانية حيث اهتم الفلاسفة بالخطابة منذ القديم وتطورت تطوراً ملحوظاً مع السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو خاصة الذي تناول الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسات الحجاجية من خلال بعض الكتب (كتاب الجدل، كتاب الخطابة، كتاب السفسطة، كتاب الشعر، كتاب البلاغة)، وقد قسم أرسطو هذا الأخير إلى ثلاثة أقسام: «القسم الأول يتعلق بمفهوم البلاغة وموضوعها ومنهجها وعلاقتها بالجدل، في حين يتناول في القسم الثاني ما يتعلق بالتأثير في الآخر أو نفسيته، وفي القسم الأخير من الكتاب يتناول صفات الأسلوب وآثاره الفنية والجمالية والحجاجية»¹، وعليه فقد كانت البلاغة عند أرسطو خطاباً حجاجياً يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع حيث يرى أن البلاغة هي «الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان»²، فقصر وظيفتها على الإقناع، لذلك «ترتبط بلاغة أرسطو بالمحاجة والتطبيق الملائم لها هو فن الخطابة الذي يهدف إلى الإثبات والإقناع بواسطة الخطاب»³.

يعتبر الحجاج قاعدة أساسية من قواعد السلطة، وطريقة بارزة من طرق ممارسة السياسة عند اليونان «السفسطائيون» كانوا يستعملون في الغالب سلطة القول في فضاءات السلطة بالمدينة، وفي القول ومآتيه نازلهم أبوا الفلسفة الغربية أفلاطون وأرسطو، فكان بين هذين وأولئك نوعان من الحجاج؛ حجاج بحجاج في مسائل فلسفية مختلفة، وحجاج فيما ينبغي أن يكون الحجاج خطابيين متقابلين ناشرين لنظريتين مختلفتين إلى وضع القول في علاقته

¹ - جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، دط، دت، ص22.

² - أرسطو طاليس، الخطابة، تر عبد الرحمان بدوي، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، دط، 1986م، ص29.

³ - جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2014م، ص67.

* السفسطائية: هي حركة فلسفية ظهرت باليونان في القرن الخامس قبل الميلاد تتميز بالكفاءة اللغوية وبالخبرة الجدلية وكان لوجودهم دور كبير في تطور البلاغة.

بمسألتي المعرفة والقيم الحاضنة للاجتماع الإنساني¹، ومنه أصبح الحجاج مضبوطا بعد أن عمل فلاسفة الإغريق على استقصاء أوجه استثمار الملكة الخطابية والجدلية في تداول المعرفة، فأبدعوا بذلك في إبراز تقنيات الحجاج، فالحجاج كان مستخدما عند السفسطائيين في فضاءات السلطة و ضد الفلاسفة، وفي تعريف أرسطو للحجاج نجده مشتركا بين الخطابة والجدل، حيث تناول أرسطو الحجاج من زاويتين، زاوية بلاغية و زاوية جدلية، فمن الزاوية البلاغية يربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع، ومن الزاوية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية وتتطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة، حيث أكد أرسطو وجود الحجاج في الخطابة كما في الجدل أي أن الخطابة تعتمد على الحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل حيث أن «الحجاج قاسما مشتركا بين الخطابة والجدل فالحجاج في الجدل ومرتكزاته في الخطابة فهي مرتكزات عقلية خالصة في الجدل، في حين تكون مرتكزات الحجاج في الخطابة عاطفية بالأساس²؛ أي أن الحجاج في الجدل يعتمد على العقل والحجاج في الخطابة يرتكز ويعتمد على العاطفة أساسا.

وأورد أرسطو في كتابه الخطابة والجدل قوله «فأما التصديقات التي تكون بالصناعة فلا يخبرون عنها بشيء، وهذه إنما تكون من قبل التفكير ومن أجل هذا يقول على أن الحيلة أو الصناعة في التفسير والتشاجر واحدة، وأنه إذا كان التشاجر فوليطيا أي مدنيا، فهو خير وأشرف مذهب من التفسير الذي يجري في الأخذ والإعطاء³»، فالتشاجر هنا يعني به الجدل، والتصديقات هي الحجج التي يأتي بها لإثبات أمر ما، وهذا الجدل هو أكثر مدنية من الأخذ والإعطاء قد ميز أرسطو بين نوعين من الحجج (التصديقات): صناعية وغير صناعية

¹ - حمادى صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، دط، دت، ص 51.

² - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م، ص 18.

³ - أرسطو طاليس، الخطابة، ص 6.

أ الحجج غير الصناعية:

حيث يذكر أرسطو أنها «هي تلك الحجج والتصديقات الموجودة في الواقع المعيش وليست من صنع المُحَاجج وهي أنواع: حجج دينية أو حجج سياسية أو حجج واقعية، ويمكن للخطيب أن يستعملها بقدر ما دعت الضرورة إلى ذلك حيث تكون جاهزة، يوفرها المقام العام للخطاب، ويستعمل منها الخطيب بقدر مقتضى الحال»¹؛ أي أن الخطيب هنا ليس له دور في صنع هذه الحجج وابتكارها حيث يجدها جاهزة، سواء في الكتب الدينية، أو الجرائد، أو العهود والمواثيق...

ب الحجج الصناعية:

أما الحجج الصناعية فيقصد بها «ما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة وبأنفسنا (...)» فأما التصديقات التي احتال لها الكلام فإنها ما يكون بكيفية المتكلم وسيمته، أي المظهر العاطفي للمتكلم، ومنها ما يكون بالتهيئة للسامع وميول المتلقي ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت «²؛ أي أن المخاطب يعتمد على نفسه في صياغة هذه الحجج من منطلقات عقلية ومنطقية بعيدا عن التي يوفرها المقام العام للخطاب

وقد أَلح أرسطو في كتابه الخطابة على أن صناعة الخطابة عمدتها التصديقات أي أن أرسطو قد جعل الخطابة مجالا للممارسة الحجاجية، لأنه يضع الحجج عمدة للعلاقة الخطابية بين المتكلم والسامع، حيث درس أخلاق المتكلم وانفعالات المستمع في هذه العلاقة الخطابية وهو بذلك يربط الخطابة بالجدل، كما أشار أرسطو إلى أهمية الترتيب في عرض الحجج المختلفة، حيث لا قيمة للحجة ذاتها إذ لم تعرض وفق خطة قولية ترتبها تدريجيا في سلم معقول.

¹ - محمد سالم محمد الأمين طلبية، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص47.

² - أرسطو طاليس، الخطابة، ص9.

ب-2/ مفهوم الحجاج عند الجاحظ:

لقد أولى العرب قديما الحجاج عناية كبيرة وقد تجسد في العصر الإسلامي خاصة لاسيما في القرآن والسنة النبوية، وأيضا في مختلف العلوم وقد تناوله البلاغيون العرب القدامى حيث نجد إشارات واضحة للحجاج في مؤلفاتهم، وقد اهتم البلاغيون بدراسة الحجاج باعتبار أن البلاغة تنصب في الحجاج باستخدامها لأدوات وآليات للوصول إلى السامع، وتحقيق غرضها المتمثل في التأثير في المتلقي وهذه هي غاية الحجاج وماهيته.

ومن أهم البلاغيين العرب الذين تناولوا الحجاج نجد الجاحظ في مؤلفه "البيان والتبيين" الذي «تناول فيه نظرية البيان التي كان أساسها استعمال الحجاج لإقناع المخاطب»¹، حيث يعد هذا الكتاب أهم مصنف أرسى فيه الجاحظ معالم الحجاج عن طريق تناوله للآليات التواصلية والتقنيات الخطابية التي تمكن الخطيب المتكلم من التواصل الجيد مع مستمعيه ومن ثم إقناعه، حيث يقول محمد العمري «إن تحليل إستراتيجية البيان والتبيين للجاحظ يكشف بكل وضوح أن هذا الكتاب محاولة لوضع نظرية لبلاغة الإقناع، مركزها الخطاب اللغوي الشفوي»².

يعرف الجاحظ البيان بقوله: «البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضى السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»³، ترتبط دراسة الحجاج عنده بدراسته للبيان الذي اهتم فيه بالفهم والإفهام،

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان، ط 1، 2004م ص449.

² - محمد العمري، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي ، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2005م، ص11.

³ - عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1998م، ج1، ص76.

ويتلخص مفهوم البيان عنده في المعرفة والإقناع كمفهومين وكوظيفتين فالبيان عنده هو المعرفة (الوظيفة الإفهامية) وكذلك الإقناع (الوظيفة الإقناعية)، وهو ما أشار إليه محمد العمري حيث قال: «مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي أي أنه العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام... بالوسائل المختلفة: الوسائل اللغوية والإشارية خاصة»¹، هنا يشير الجاحظ إلى أنساق التواصل غير اللغوية كالإشارة ودورها في الإقناع والتأثير.

ويذكر محمد العمري أيضا أن الإفهام عند الجاحظ هو «إيضاح المعنى القائم في النفس حتى يدركه الآخر، والإقناع ناتج عن مجموعة من المؤهلات والصفات تتمثل في الفصاحة والوضوح والصحة وحسن التفصيل، والمنطق والإبانة والحجاج ولباس التقوى... الخ من أجل الإقناع واستمالة القلوب والتصديق»².

فصل الجاحظ الحديث فيما يخص الخطيب من أمور خَلقية وُخَلقية والتي لها أثر على نجاعة خطابه ووصوله إلى الجمهور حيث يقول نقلا عن أبي الأشعث: «وأول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ولا يصفّيها كل التصفية، ولا يهذبها كل التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما»³، تحدث الجاحظ هنا على ما يجب أن يتحلى به الخطيب من صفات تجعله يحقق الإقناع والتأثير في المتلقى حيث ركز الجاحظ على العناصر اللغوية التي تحقق الإقناع والتأثير في المتلقي حيث ذكر ما يجب أن يتحلى به الخطيب وما يجب أن ينتبه له من خصائص سلبية تضعف موقفه وربط هنا البيان والبلاغة بالإقناع، «هذا ما جعل غايته في

¹ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999م، ص194.

² - المرجع نفسه، ص 199، 198.

³ - عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص92.

البيان والتبيين هي الخطاب الإقناعي الشفوي¹، ومن العناصر الحجاجية التي اهتم بها الجاحظ «مقتضيات المقام وما تشمله من أحوال الخطيب وكفاءته اللغوية، وهيئته وصفاته الخلقية وما يحسن عليه وما يقبح، فالجاحظ دائم الإلحاح على الشروط اللازم توفرها في المتكلم من حيث الخبرة والحدق لآلة البلاغية والنصوص الاستشهادية الضرورية لكل حجاج علاوة على تخير القالب اللغوي الكفيل بإنجاح الفحوى والمقاصد ودفع السامع إلى تحقيق المضامين النصية»²، لم يغفل الجاحظ أي عنصر من العناصر الحجاجية التي توصل إلى الإقناع والإفهام من أحوال الخطيب وصفاته الخلقية والخلقية وكفاءته اللغوية والخبرة والحدق والاستشهاد بالنصوص وتخير القالب اللغوي من أجل الوصول إلى الجمهور وقد جاء في البيان والتبيين أيضا أهمية الموازنة بين أقدار المعاني وأقدار السامعين يقول الجاحظ: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازي بينها وبين أقدار السامعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حيث يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات...»³، أي على المتكلم أو المخاطب أن يخاطب المتلقي بما يناسبه (المقال) في المقام والحالة التي تناسبه، أي أنه أشار إلى العلاقة الوثيقة بين المتلقي والمقام والمقال. وأورد الجاحظ على لسان "إسحاق بن حسان بن قوهب" حيث قال: «لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط، سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجرى في وجوه كثيرة؛ فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج...»⁴؛ أي أن الجاحظ وافق ابن المقفع وجعل الحجاج وجها

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص448.

² - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة والمعاصرة، ص214.

³ - عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص139.

⁴ - المصدر نفسه، ص115.

من وجوه البلاغة ووظيفة من وظائفها التي تعمل على فك اللبس والغموض عن المعنى والإقناع والتأثير في جمهور المستمعين.

اعتمد الجاحظ البنية الحجاجية في مؤلفاته وخاصة في مؤلفاته وخطاباته في علم الكلام الذي يعتمد أساسا على البرهان العقلي وعلى أساليب الجدل والاستدلال والقياس، حيث يقول في كتابه الحيوان: «وإنما اعتمدنا في هذه الكتب على الإخبار عما في أجناس الحيوان من الحجج المتظاهرة وعلى الأدلة المترادفة...»¹، ونستخلص أن البيان ليس تنميكا للكلام ولا تحريفا لوظيفة الخطاب «وإنما تحقيق لأقصى إمكانات التبليغ تحقيقا يؤدي إلى انتهاض المخاطب بالعمل والتغيير»².

ب-3/ مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا (البلاغة الجديدة):

البلاغة الجديدة «هي إعادة استثمار لاجتهادات البلاغيين القدماء في توسيع مفهوم البلاغة وربطها بعلوم مختلفة»³، ومن كل هذا يظهر جليا أن البلاغة الجديدة ماهي إلا البلاغة القديمة في صورة جديدة إذ أنها أخذت منها عناصرها الأساسية فقط فأصبحت هي «البحث عن الوسائل والآليات التي تجعل من الخطاب خطابا مقنعا»⁴.

يعد شايم بيرلمان (chaim perelman) رائد البلاغة الجديدة من خلال كتابه المشترك مع أولبرخت تيتيكا (olbrecgts tyteca) كتاب مصنف الحجاج_الخطابة الجديدة (traite de l'argumentation- la nouvelle rethorique) حيث يعد هذا المصنف فتحا جديدا في عالم الخطابة وأهم محاولة لتجديد النظرية الحجاجية الأرسطية بالعودة إلى

¹ - عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى الخانجي، ط2، 1965م، ص09.

² - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1998م ص293.

³ - إرود إيش وآخرون، نظرية الآداب في القرن العشرين، تر محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط، 1996 م، ص132.

⁴ - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002م، ص19.

الأصل حينما كانت البلاغة حجاجية تسعى إلى بث الإقناع والفعل لا إلى تميم الكلام فحسب، حيث «حاول المؤلفان ردم الهوة الفاصلة للبلاغة المعاصرة عن أصلها الأرسطي الأثيني»¹، فهذا الإنجاز البلاغي الجديد الذي حققه بيرلمان لم يأت من العدم بل خرج من صلب البلاغة الكلاسيكية التي تلونت بالصبغة الحجاجية، لقد عرّف بيرلمان وتيتكاه الحجاج فقالوا: «موضوع الحجاج هو دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»²، فالحجاج عندهما هو دراسة التقنيات التي يوظفها الخطيب في خطابه كي يؤثر في المتلقي ويدفعه إلى الاقتناع والتسليم بما يعرضه عليه أو يزيد في درجة الإقناع.

ويعرفانه أيضا بأنه «جملة الأساليب التي تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الإقناع بما يعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع لغاية أساسية هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل»³؛ أي أن وظيفة الحجاج هي حمل المتلقي على الاقتناع بما يُطرح عليه من قضايا وأفكار أو الزيادة في ذلك الإقناع والتأثير عليه، حيث أصبحت البلاغة الجديدة لا تهتم بالشكل فقط بل تعداه إلى الاهتمام بالمضمون فأصبحت تهتم بالبحث عن الوسائل التي تجعل من الخطاب تأثيريا قويا «فالقرن العشرين إذا شهد انبعاثا بلاغيا واضحا لم تعد البلاغة فيه مجرد بحث في عملية الإقناع أو محاولة لتحليل الخصائص الجمالية الأسلوبية، إذ أنها تجاوزت ذلك البعد الجمالي الذي انحصرت فيه بشكل صارم من قبل ذلك، وأخذت طابع العلمية أو إن بحوثها نزعت إلى أن تصبح علما وفق نظرية متخصصة حاول الباحثون تطويرها وجعلها مبحثا علميا عصريا»⁴؛ أي في

¹ - محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر، ص33.

² - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، ط1، 2001م، ص27.

³ - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري بنيته وأساليبه، ص21.

⁴ - فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص31.

القرن العشرين تبلورت بلاغة جديدة علمية ووصفية، تبحث في الملفوظ البلاغي بنية ودلالة ووظيفة وتوصلا وتصنيفا.

عمدا بيرلمان وتيتكا أيضا إلى «إخراج الحجاج من دوائر الأجناس الخطابية الأرسطية الخطابية والجدل الذي ظل لفترات طويلة مرادف للمنطق نفسه»¹، إلى مختلف الخطابات فحاولا إعطاء مفهوم آخر للحجاج على عكس المفهوم الذي كان شائعا عند أرسطو الذي كان فيه الحجاج مرتبطا بالخطابة والجدل فقط فأضافوا إليه مختلف الخطابات التي تهدف إلى الإقناع «فالحجاج كما يوجد في الخطابة والجدل يوجد في غيرهما وعلى جميع المستويات، إذ تقول أطروحته أن التقنيات الحجاجية هي نفسها في التلفزة، وعلى مائدة العائلة، وفي عالم الأعمال وغيرها، فهو يعتبر أن كل المكونات الموجودة في رسالة ما... هي عبارة عن مستوى معين من مستويات الحجاج، ومن هنا يمكن القول أن نظرية الحجاج الجديدة تتخطى كل الحدود التي رسمت لها لهذا أصبحت تغطي كل الخطابات في مختلف المجالات المستهدفة للإقناع»².

وهذا ما سماه بيرلمان "بالخطابة الجديدة" التي تخرج عن الجدل والخطابة وأيضا تهتم بلاغته بالخطابات الموجهة إلى كل أنواع المستمعين سواء تعلق الأمر بجمهور مجتمع في ساحة عمومية، أو تعلق باجتماع المختصين، أو بشخص واحد أو بكل الإنسانية، بل إنها تهتم بالحجج التي قد يوجهها الشخص إلى نفسه في مقام حوار ذاتي، «إن نظرية الحجاج بوصفها بلاغة جديدة تغطي كل حقل الخطاب المستهدف للإقناع كيفما كان المستمع الذي

¹ - حمادي صمود ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص298.

² - كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي (رضي الله عنه)، عالم الكتب الحديث ، إربد،

الأردن ط1، 2012م، ص30.

تتوجه إليه ومهما كانت المادة المطروحة ¹ «¹، بخلاف أرسطو الذي ضيقه وحصره في الجمهور مجتمع في ميدان ما.

يعتبر بيرلمان الحجاج عملية تفاعلية تقوم على مجموعة من العناصر هي: المرسل والرسالة والسامع الذي يعرفه بيرلمان «أنه المجموع الذي يحاول الخطيب التأثير فيه عبر حجاجه»²، حيث يعتبره أهم من الخطيب لأن الهدف من الحجاج أو الرسالة التواصلية هو إقناع المستمع ومحاجته عبر مجموعة من الحجج من أجل الوصول إلى الحقيقة «فليس المهم هو الخطيب كما في البلاغة القديمة بل المستمع»³.

وبذلك قام بيرلمان وتيتكا بتخليص الخطابة الأرسطية من الهيمنة الصورية، فهي بلاغة تأخذ بعين الاعتبار كل من المتكلم والمخاطب والمقام وظروفهم، وبذلك تصبح البلاغة فنا للإقناع والإمتاع في الوقت نفسه، وأيضاً حاولا في مصنفهما تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب في وضع ضرورة خضوع واستلاب إذ الحجاج بالنسبة لهما «معقولة وحرية وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاوره، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيداً عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة وعن الإلزام والإضرار اللذين يطبعان الجدل ومعنى ذلك كله أن الحجاج عكس العنف بكل مظاهره»⁴، أي أنهما ربطا الحجاج بالحرية والحوار والمعقولة بعيداً عن الإلزام أو الإعتباطية.

¹ - محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص34.

² - جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص32.

³ - المرجع نفسه، ص32.

⁴ - حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص298.

ومن أهم أفكار بيرلمان أنه يعتبر الإقناع الوظيفية الأساسية للبلاغة وليس التأثير، وفي هذا السياق يقول: «نقصد بالحجاج المؤثر ذلك المتوجه إلى مستمع خاص وبالإقناع المصوب نحو كائن عاقل فالفرق دقيق ورهين بمفهوم الخطيب للعقل أساساً»¹.

يتميز الحجاج عند بيرلمان بخمسة ملامح أساسية تتمثل في²:

- 1 - أن يتوجه إلى مستمع.
- 2 أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- 3 مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.
- 4 لا يفتقر تقدمه-تناميه-إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
- 5 ليست نتائجه ملزمة.

لخص محمد طروس أهم النتائج التي وصل إليها بيرلمان وزميله والمتمثلة فيما يلي³:

- إنَّ أهم ما قدمه المؤلفان هو محاولة تخليصهم للحجاج من دائرة الخطابة والجدل الذي كان سليل هذه الأخيرة خاصة عند أرسطو.

- تخليص الحجاج من بوتقة المنطق و الأبنية الاستدلالية المجردة، مقرباه من مجالات استخدام اللغة مثل العلوم الإنسانية والفلسفة والقانون، ومن ثم فتح مجالات للحجاج وتخليصه من النظرة الضيقة التي جعلته أداة تقنية صرفة.

- اعتبار الحجاج حواراً غير مرتبط بالجدل كما رأينا عند أرسطو فهو حوار بين الخطيب وجمهوره ولا يمكن أن نعتبره مغالطة أو تلاعب بالمشاعر والعقول.

¹ - جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص31.

² - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص108.

³ - حسين ببولوط، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، تخصص لسانيات الخطاب، باتنة، الجزائر، 2010م، ص26، 25.

- الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية.
- العملية الحجاجية عملية تنطلق من أطروحة وتتجه إلى الإقناع.

ثانيا: نظرية السلام الحجاجية:

تعتبر نظرية السلام الحجاجية من أهم المفاهيم التي أفرزتها الدراسات اللسانية التداولية في حقل الحجاج، حيث أفرزت من نظرية الحجاج في اللغة التي أسسها اللغوي الفرنسي أوزوالد ديكرو (o.ducort) منذ سنة 1983، وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية والغايات، حيث تنطلق هذه النظرية (نظرية الحجاج في اللغة) من فكرة «أننا نتكلم بقصد التأثير»¹ ومحتوى هذه النظرية «أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤثر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وكل الظواهر الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية»².

أي أن الحجاج موضوع متجدر في اللغة بحيث لا يمكن فصله عنها بأية حال حيث تختلف هذه النظرية عن النظريات الحجاجية الأخرى ذات التوجه المنطقي أو الفلسفي أو البلاغي؛ أي أن هذه النظرية تنطلق من اللغة وليس من المنطق الجدلي حيث يعرفه بأنه «حجاج يقوم على اللغة بالأساس بل يكمن فيها»³.

انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من صلب نظرية الأفعال الكلامية التي وضع أسسها أسوتين و سورل، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وأراء أسوتين بالخصوص، «واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج»⁴، وهذا يعني أن فعل

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص14.

² - المرجع نفسه، ص14.

³ - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص22.

⁴ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص15.

الحجاج عند ديكرود فعل كلامي لساني وعليه قام بإعادة صياغة مفهوم الفعل الإنجازي (التلفظ) بأنه «فعل موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية؛ أي مجموعة من الحقوق والواجبات وهو يفرض على المخاطب نمطا معيناً من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير عليه الحوار»¹، أي أضاف ديكرود إلى الأفعال الكلامية التي وضع أسسها أوستين فعل الحجاج، وأعاد بذلك صياغة فعل الإنجاز من أجل إحداث تحويلات، أي على المتكلم أن يفرض أو يوجه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق الأهداف الحجاجية، ومنه فموضوع الحجاج عنده هو «بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكوناً أساسياً لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما»².

فدراسة الحجاج في إطار هذا التوجه اللساني «تتصرف إلى البنية اللسانية للملفوظات الحجاجية ومختلف الآليات التي تتيح إمكان قيام الحجج داخل اللغة، ذلك أن الوظيفة الحجاجية للغة تبرز في البنية التركيبية للغة ذاتها، أي أن الحجاج مؤصل لغوياً قبل أن يكون مظهراً من مظاهر التداول الخطابي»³؛ أي أن اللغة كما أشرنا سابقاً تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، حيث تحتوي اللغة على مختلف الآليات التي تتيح للحجج القيام داخل اللغة.

«تنتهي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحركة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدرجي وبعبارة أخرى

¹ - شكري المبخوت، الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، ص352.

² - المرجع نفسه، ص352.

³ - إيتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة، باتنة، الجزائر، 2010م، ص132.

يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات إستنتاجية داخل الخطاب ¹، حيث يشير ديكرود إلى أن الحجج بمختلف أنواعها تعرف تراتبا معيناً يكون متسلسلاً؛ أي أن الحجج تكون في علاقة تراتبية داخل الخطاب وهذه العلاقة هي ما يسميه ديكرود سلماً حجاجياً.

1 / مفهوم السلام الحجاجية:

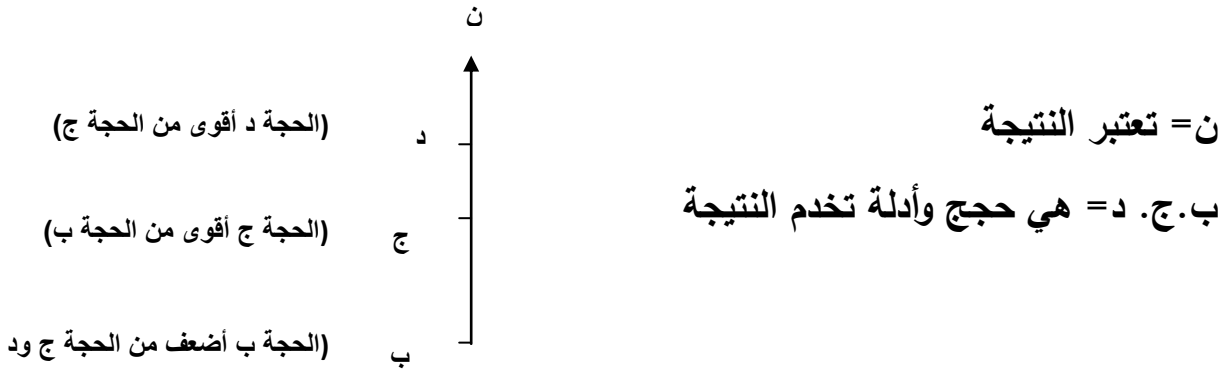
يتمثل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتيبها حسب قوتها إذ لا يثبت غالباً إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق ولذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه، وهذا الترتيب هو ما يسمى بالسلام الحجاجي ومن أبسط تمثيلاتة « ما يكتب عن الإنسان عند عرض سيرته الذاتية من التراتبيات في حياته منذ نموه المعرفي صعوداً إلى أعماله الأخرى ²، حيث يعرف الحجاج في إطاره العام هو «أن يقدم المتكلم قولاً (ق 1) أو مجموعة أقوال موجهة إلى جعل المخاطب يقبل قولاً آخر (ق 2) أو مجموعة أقوال أخرى سواء أكان (ق 2) صريحاً أم ضمناً وهذا الحمل على قبول (ق 2) على أنه نتيجة للحجة (ق 1) يسمى عمل المحاجبة؛ فالحجاج إذن هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عملية المحاجبة ³، ومنه فإن ديكرود يصوغ العلاقة الحجاجية على الشكل التالي: «إن كل قول (حجة 2) ترد في درجة ما من درجات السلم الحجاجي، فإن القول (حجة 1) الذي يعلوه في السلم يكون دليلاً أقوى منه بالنسبة للنتيجة المقصودة» ⁴ أي أن هذه الحجج تكون متفاوتة فيما بينها من حيث قوتها التدلالية والتبليغية والتأثيرية، فهي لا تتساوي ولكنها تترتب في درجات وفق معايير متعددة ومختلفة منها القوة والضعف، وهذه الحجج تستلزم نتيجة واحدة ويمكن أن نرمز لها بالشكل التالي:

¹ - جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص 35.

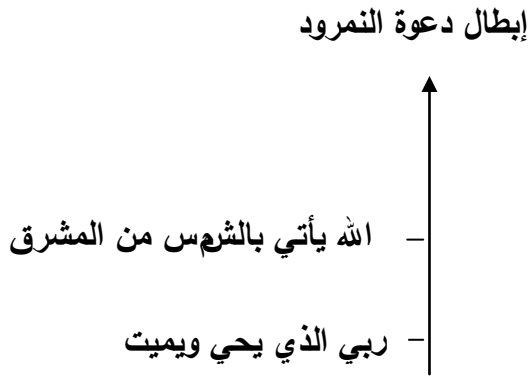
² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 500.

³ - خالد إسماعيل صاحب، الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، جامعة ذي قار، م 5، ع 1، 2015م، ص 153.

⁴ - رضوان القبي، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، مجلة الفكر، ص 94.



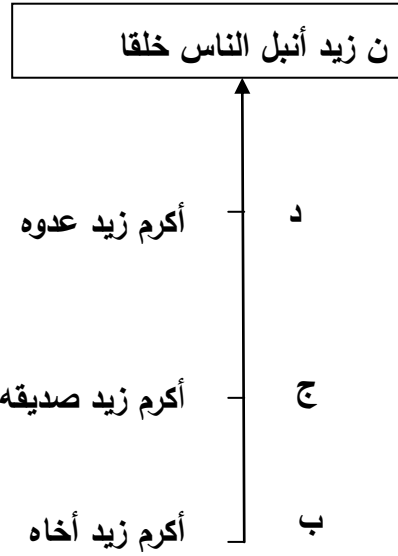
مثال: في قصة سيدنا إبراهيم مع النمرود، التدرج في توظيف الحجج وفق ترتيب حجاجي الهدف منه هو إقناع الملك، ونمثل لاختلاف قوة درجة الحجج بإتباع الشكل السابق فيكون كما يلي¹:



كلما كانت الحجة أقرب إلى رأس الهرم كانت أكثر تأثيراً في نفس المتلقى، وكلما كانت الحجة أقرب إلى القاعدة كانت أقل تأثيراً في المتلقى ومنه «فالسلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج»² فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما في علاقة ترتيبية معينة فإن هذه الحجج تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي مثل ما نلاحظه في الشكل:

¹ - رضوان القبي، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، مجلة الفكر، ص 95.

² - أبو بكر العزاوي، الحجاج واللغة، ص 20.



ن = زيد أنبل الناس خلقا

نلاحظ أن (د) و(ج) و(ب) هي عبارة عن حجج تخدم النتيجة (ن)¹، وبما أن (د) و(ج) و(ب) يستلزمون نتيجة واحدة، فقد استحقوا أن يدخلوا في مجموعة تدليلية واحدة تسمى الفئة الحجاجية، وكل فئة حجاجية تتحدد بنتيجتها المشتركة وعلى هذا تكون الفئة الحجاجية (ب،د،ج) مقيدة بالمدلول (ن) وهو أن زيد مثال للنبل الخلفي.

ومنه يتسم السلم الحجاجي بالسنتين التاليتين:

أ «كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى ن»² وذلك مثل ما رأينا في المثالين السابقين، أي كل الحجج موصلة إلى النتيجة ولكن ليس بنفس الطاقة الحجاجية.

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص20.

² - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3،

2007م، ص105.

ب «إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها والعكس صحيح».¹

أما نظرية السلام الحجاجية عند شكري المبخوث تنطلق «من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة (ق) والنتيجة (ن) ومعنى التلازم هنا أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى ضمنية»²، أي أن التلازم لا يتحقق إلا بإضافة الحجة إلى نتيجتها التي يكون مصرحا بها أو مضمرة.

النتيجة قد تكون ضمنية وقد تكون صريحة مثل:

أ - ماذا تريد أن تفعل اليوم؟

ب - ألا ترى أن الطقس جميل؟

«فالاستفهام في القول (ب) يمثل حجة لفائدة نتيجة ضمنية هي الخروج للنزهة مثلا وإن لم يقع التصريح بهذه النتيجة»³.

أما عن أهمية نظرية السلام الحجاجية «فتكمن في إخراج القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري للمفوض، ذلك أنه إذا كان للقول وجهة حجاجية تحدد قيمته باعتباره يدعم نتيجة ما، وإذا كان القول يندرج ضمن قسم حجاجي قائم على قوة بعض مكوناته وضعف بعضها الآخر بالنسبة إلى نتيجة ما، فإن مفهوم السلم الحجاجي بتركيزه على الطابع المندرج والموجه للأقوال يبين أن الخطاب الحجاجي ليس مطلقا إذ لا يتحدد بالمحتوى الخبري

¹ - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2007م، ص105.

² - شكري المبخوث، نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص370.

³ - رضوان القبلي، الاستدلال الحجاجي وآلياته، ص 93، 94.

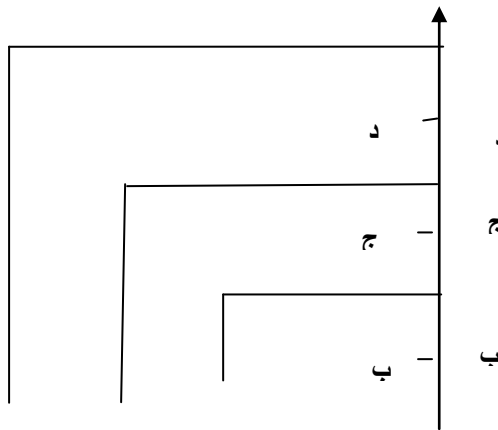
للملفوظ ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون، وإنما هو رهين باختيار هذه الحجة أو تلك بالنسبة إلى نتيجة محددة لذلك فالحكم على الخطاب الحجاجي أساسه القوة والضعف اعتباراً لطابع التدرج فيه لا الصدق والكذب»¹؛ أي أن نظرية السلام الحجاجية لا تكفي بالوظيفة الإخبارية للقول وإنما تتعداها إلى الوظيفة الحجاجية باعتمادها على التدرج في الأقوال في القوة والضعف وليس في صدق القول أو كذبه.

2/ قوانين السلام الحجاجية:

للسلام الحجاجية قوانين ثلاثة صاغها ديكرو في كتاباته، واعتبرها قواعد تدعم هذه السلام الحجاجية تتمثل في:

2. أ/ قانون الخفض:

يوضح هذا القانون « الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساوياً للعبارة "moins que"²، «ومقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها»³؛ أي ينتج قانون الخفض عن طريق النفي اللغوي، والرسم التالي يوضح ذلك:

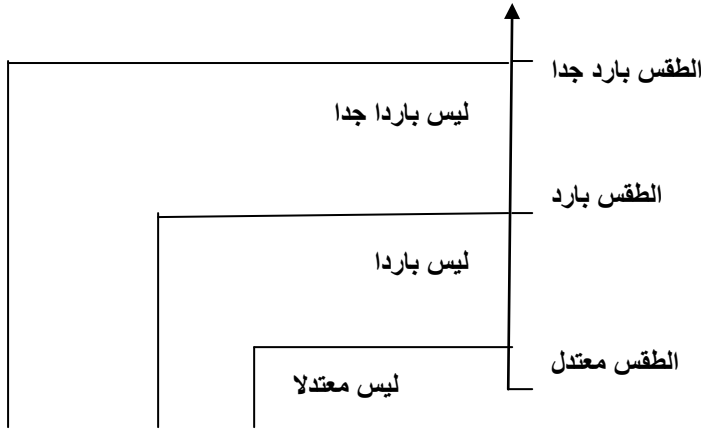


¹ - شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص370.

² - أبو بكر العزاوي، الحجاج واللغة، ص24.

³ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

فالترتيب بين الحجج قد يتغير بتداخل عوامل أخرى، إذ أنّ إضافة حجة إلى مجموعة من الحجج يمكن أن يغير مدلولها وبالتالي من قوتها، «إذ يمكن أن أغير موقفي من حجة ما فاعتبرها صادقة بعد أن كذبتها سابقا والعكس»¹، ومعنى ذلك أنه إذا كان القول (ق) المنتمى إلى قسم حجاجي تحدده "ن" يكون نفيه أقل منه فعند قولنا فستكون في مرتبة يكون فيها الطقس أقل من بارد فيكون السلم كالتالي:



الجو ليس باردا فنستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارص.

«إن لم يكن الجو بارد فهو حار أو دافئ»².

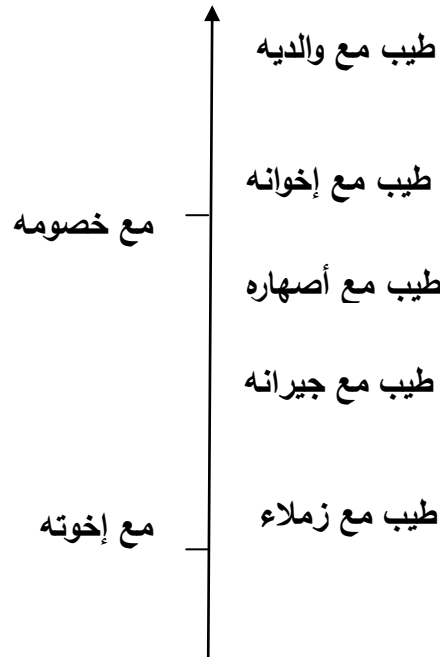
مثال 2: لم يحضر كثير من التلاميذ الدرس. بذلك نستبعد أن كل التلاميذ حضروا الدرس، يؤول هذا الملفوظ كما يلي: لم يحضر إلاّ القليل منهم الدرس «فالمرسل يختار حججه التي تنتسب إلى سلم واحد بما يضمن له التدليل على قصده وعدم تناقضها، بل وليؤكد كل منها ما قيل قبلها، أو ليؤكد ما هو مضمّر في درجات السلم الواحد، ولذلك فإنه يبدأ فيرتب حججه في سلمية واحدة»³، مثل: كان عبد الرحمان نبيل الأخلاق.

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

² - أبو بكر العزاوي، الحجاج واللغة، ص24.

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص502.

نبيل أخلاق عبد الرحمان



ولهذا فكل دليل يستلزم منطقيا ما تحته من أدلة، ومنه «فالخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي»¹.

2- ب/ قانون تبديل السلم (la loi dénégation):

وهو ما يسميه العزاوي قانون النفي ومقتضى هذا القانون «أنه إذا كان القول دليل على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله»²، ومفاده «إذا كان قول ما (أ) مستخدما من طرف المتكلم ليخدم نتيجة معينة فإن نفيه (لا-أ) يصبح حجة لنتيجة مضادة»³.

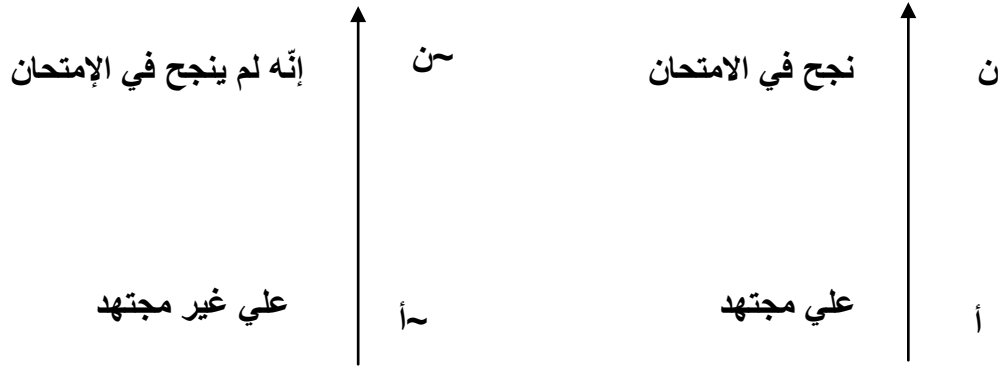
مثل: علي مجتهد، فقد نجح في الامتحان

علي ليس مجتهدا، إنّه لم ينجح

¹ - خديجة خشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، ص73.

² - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص277.

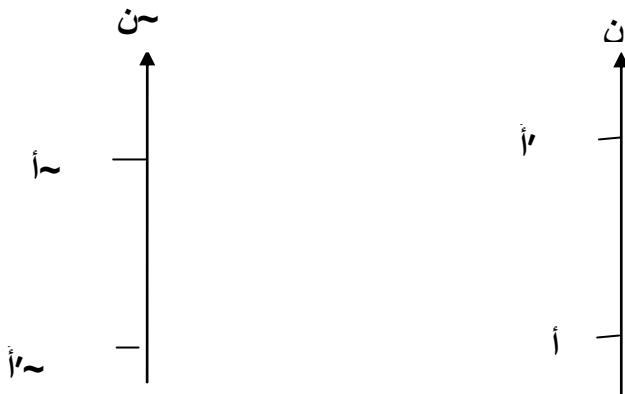
³ - المرجع نفسه، ص278



«فإذا جعلنا (أ) ينتمي إلى النتيجة (ن) في المثال الأول، فإنه في المثال الثاني (~أ) ينتمي إلى النتيجة المضادة (~ن)»¹، فإن قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول، وجب علينا أن نقبل الحجاج الوارد في المثال الثاني.

2-ج/ قانون القلب (la loi d'inversion):

مقتضى هذا القانون الثالث «أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول»² أي يرتبط هذا القانون بالنفي ويعد مكملا له، أي أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية يكون عكس سلم الأقوال الإثباتية، أي إنه عندما تغدو الحججتين أقوى من الأخرى في قوتها الحجاجية لدلالة على نتيجة معينة يصبح نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على نتيجة مضادة، ونرمز لها بواسطة السلمين التاليين³:



¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 22.

² - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 278.

³ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 22.

ونوضح ذلك بالمثالين التاليين:

- حصل علي على الماستر، وحتى الدكتوراه

- لم يحصل علي على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماستر.

فحصول علي على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على شهادة الماستر، في حين أنّ عدم حصوله على الماستر هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه، فالسلم الحجاجي هنا للأقول المنفية عدم حصوله على الماستر، وعدم حصوله على الدكتوراه هو عكس السلم الحجاجي للأقوال المثبتة.

3/ الروابط والعوامل الحجاجية (les connecteurs et les operateurs) : (argumentatifs)

كانت نظرية الحجاج في اللغة « نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم وذلك قصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية »¹، أي يتحقق الحجاج في اللغة عبر مجموعة من المؤشرات والأدوات اللغوية تساعد في توجيه الخطاب وجهة ما .

إنّ للغة طبيعة حجاجية تتجلى في بنيتها، حيث تتضمن أدوات وروابط حجاجية، ولذلك «يعد الحجاج فعلا لغويا مؤشرا عليه بروابط وأدوات وعبارات مهمتها إعطاء وجهة حجاجية للملفوظ تجعل المتقبل في اتجاه من الاتجاهات»².

مما سبق نستنتج أن العوامل والروابط الحجاجية مفاهيم أساسية في نظرية الحجاج في اللغة، وتساعد في تنامي الحجاج من أدنى السلم إلى أعلاه حيث تكون في الأقوال علامات

¹ - خالد إسماعيل صاحب، الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، ص155.

² - عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2011م، ص320.

لإسناد الوظيفة الحجاجية للقول، وتعتبر هذه العوامل والروابط جوهر النظرية الحجاجية وتتمثل هذه الروابط والعوامل الحجاجية فيما يلي:

أ/الروابط الحجاجية (les connecteurs argumentatifs):

تشمل اللغة العربية على عدد كبير من الروابط الحجاجية « تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر)، وتسد لكل قول دور محدد داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة»¹ وتتمثل هذه الروابط في بعض الأدوات النحوية والظروف ويمكن أن نذكر منها ما يلي: بل، لكن، إذن حتى، لا سيما، لأن، بما أن، إذا، الواو، الفاء، اللام، كي... وقد ميّز أبو بكر العزاوي بين أنماط عديدة من الروابط تتمثل في: « الروابط المدرجة للحجج (حتى بل، لكن، لأن،...)، وروابط مدرجة للنتائج وتضم (إذن لهذا، وبالتالي...)، والروابط التي تدرج حججا قوية وتضم (حتى، بل، لكن، لا سيما...) وروابط تدرج حججا ضعيفة، وروابط التعارض الحجاجي وتضم (بل، لكن، ومع ذلك...) وروابط التساوق الحجاجي مثل : (حتى لا سيما...)²، وسنفضل بالدراسة الروابط الحجاجية الواردة والأكثر استعمالا في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي في الفصل التطبيقي.

ب/العوامل الحجاجية (les opérateurs argumentatifs):

العامل هو «صُرْبُفَة (مورفيم) إذا تم إعمالها في ملفوظ معيّن يؤدي ذلك إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ»³، أي أن وظيفة العامل الحجاجي هي تحويل الطاقة الحجاجية إلى الملفوظ الذي يرد فيه.

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.

² - المرجع نفسه، ص 30.

³ - رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانيات عند ديكر و أنسكومبر، مجلة عالم الفكر،

وهذه العوامل الحجاجية «لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل أدوات النفي وأدوات القصر والتوكيد أو بعض المكونات المعجمية مثل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، منذ...»¹

وهذه العوامل إذا دخلت في الخطاب تسهم في زيادة الإمكانيات الحجاجية للكلام إسهاما فعلا وزاد من طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة حجاجية ما.

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، 27.

المبحث الثاني: الخطابة وأهم عناصرها ومميزاتها.

1/ مفهوم الخطابة:

أ- لغة:

وردت كلمة الخطابة في المعاجم العربية بدلالات مختلفة لكننا في هذا التعريف سنركز على المعنى القريب والدقيق للخطابة.

يذكر ابن منظور في لسان العرب التالي: «يقال خَطَبَ فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، فَخَطَبَهُ وَأَخْطَبَهُ أَي أَجَابَهُ، وَالْخِطَابُ وَالْمُخَاطَبُ: مِرَاجَعَةُ الْكَلَامِ، وَقَدْ خَاطَبَهُ بِالْكَلامِ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا وَهَمَا يَتَخَاطَبَانِ، وَالْخُطْبَةُ مَصْدَرُ الْخَطِيبِ، وَخَطَبَ الْخَاطِبُ عَلَى الْمَنبَرِ، وَاخْتَطَبَ يَخْطُبُ خِطَابَةً، وَذَهَبَ أَبُو إِسْحَاقَ إِلَى أَنَّ الْخُطْبَةَ عِنْدَ الْعَرَبِ الْكَلَامُ الْمُنْتَوِرُ الْمَسْجَعُ»¹.

وجاء في قاموس محيط المحيط التالي: «الْخُطْبَةُ كَلَامُ الْخَطِيبِ، أَي اسْمٌ لِمَا يَخْطُبُ بِهِ الْكَلَامُ، وَقِيلَ هِيَ الْكَلَامُ الْمُنْتَوِرُ الْمَسْجَعُ»².

و أهم ما نستخلصه خلال اطلاعنا على معاجم اللغة العربية أنّها كلها تتفق في أن الخطابة كلام منثور مسجوع يقوله الخطيب على المنبر.

ب- اصطلاحاً:

أما الخطابة في الاصطلاح فهي: «مخاطبة الجماهير بطريقة إقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة»³؛ أي أن الخطابة هي فن من الفنون يشتمل في إلقاء الخطاب للجمهور بطريقة تستميل عقولهم وتؤثر فيهم.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة خَطَبَ، ص1199.

² - بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، دط، 1987م، ص241.

³ - محمود محمد محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، 1997م، ص6.

كما تعتبر الخطبة عند العرب « الكلام المنثور المسجّع، مثل الرسالة التي لها أول وآخر ومدة وغاية، أما الخطابة فهي علم البلاغة، وليس الغرض منها تعليم الكلام البليغ فحسب ولكن الغرض منها عرض الأفكار بأسلوب مقنع »¹؛ أي أن الخطابة في الاصطلاح هي عبارة عن كلام منثور لا يحكمه وزن ولا قافية، كما تعد وسيلة من وسائل تبليغ الأفكار للآخرين والتأثير عليهم.

وقد عرّفها "عبد الواسع الحميري" بقوله «هو نظام صياغة الكلام المؤثر في الآخرين وتنظيمه والتوجه به إليهم بوجهة النظر التي يتبناها المتكلم »²؛ أي على كلام الخطيب أن يكون مصاغاً من أجل التأثير في الآخرين وذلك عن طريق إتباع الخطيب لقوانين وقواعد ووسائل الخطابة من أجل الوصول إلى مبتغاه.

أما في الثقافة اليونانية فنجد أبرز تعريف للخطابة ما قدّمه "أرسطو" حيث قال: «الريطورية* قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة »³، ما يقصده أرسطو من خلال تعريفه أن الخطابة ملكة راسخة في نفس المتكلم يستطيع من خلالها أن يتحكم في فنون القول وذلك بهدف التأثير في المخاطب وإقناعه.

من خلال اطلاعنا على مفهوم الخطابة في اللّغة والاصطلاح نستنتج أنّها فن من الفنون النظرية تقوم على المشافهة هدفها التأثير والإقناع في جمهور المستمعين.

¹ - جميل صليبي المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1971م، ص531.

² - عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص2.

* - فن الخطابة.

³ - أرسطو طاليس، فن الخطابة، ص9.

2/ العناصر الفنية للخطابة:

تتكون الخطبة الكاملة من أجزاء يتبع بعضها بعض ويرتكز كل واحد منها على سابقه وكان أول تقسيم للخطبة عند أرسطو، حيث قسمها إلى أربعة أقسام هي «مقدمة الخطبة أو التمهيد لموضوعها، ويليهما عرض الموضوع ثم التذليل عليه ودفع ما قد يرد عليه من اعتراضات، ثم ختام الخطبة بتقرير النتيجة التي يريد الخطيب إقرارها في أذهان الناس»¹ ثم تلي تقسيم أرسطو تقسيمات كثيرة إلى أن اتفق الباحثون بجعلها ثلاثة أجزاء فقط هي المقدمة والعرض والخاتمة أو النتيجة.

2-1- المقدمة:

مقدمة الخطبة أو الاستهلال أو البداية هي أول ما يفتتح به الخطيب كلامه وذلك من أجل «شد انتباه السامعين نحوه ولتهيئتهم للإقبال عليه والسماع لما سيقوله لهم»²، وهنا تكمن أهميتها في كونها أول ما يطرق سمع الناس.

وتختلف هذه المقدمات من خطبة لأخرى، حيث تعددت أنواعها واختلفت ويمكن حصرها

فيما يلي:

(أ) - المقدمة النبوية: وهي المقدمة التي يبدأ فيها الخطيب «بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله»³، وقد انتشر هذا النوع من المقدمات خاصة في العصر الإسلامي والأموي والعباسي، حيث يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد وتستفتح بالتمجيد بالبراء ويسمون التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالشوهاء⁴

¹ - عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1987م، ص44.

² - المرجع نفسه، ص44.

³ - أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، دار النهضة، مصر، ط7، 2007م، ص107.

⁴ - المرجع نفسه، ص290.

ومن ذلك نجد خطبة الحجاج في أهل البصرة وخطبته في أهل العراق لما سمع تكبيراً لا يراد به الله، حيث بدأ فيهما بحمد الله تعالى والثناء على رسوله صلى الله عليه وسلم.

(ب)-المقدمة الشعرية: وهناك من يتخذ من الشعر مقدمة لكلامه وكأنما يجعله فاتحة موسيقية له، فلا يبتدئ بالبسملة ولا بالحمدلة وإنما بأبيات شعرية تكون لها علاقة بموضوع الخطبة، مثل ما قام به الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته حين وُلِّيَ العراق فقال:

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَا عُ الثَّنَايَا * * * * * مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونَنِي

صَلَّيْبُ الْعَوْدِ مِنْ سَلْفِي نَزَار * * * * * كَنَصَلِ السَّيْفِ وَضَا حِ الْجَبِينِ.¹

وهناك مقدمات أخرى يفرضها المقام على الخطيب من أجل الاستفتاح بها كالتهديد والوعيد مثل خطبة الحجاج في أهل البصرة حيث قال: «أيها الناس من أعياه داؤه فعندي دواؤه، ومن استطال أجله فعلي أن أعجله، ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله»². وقد تكون المقدمة «قص حادثة موجز غريب أو مثير ثم ينتقل منه إلى غرضه»³.

2-2-العرض:

أو الموضوع وهو ما يشمل الفكرة التي يدعو إليها الخطيب، ويعد العرض أهم أجزاء الخطبة وهذا ما أشار إليه عبد الجليل شلبي بقوله: «هي أهم أجزاء الخطبة أو هو عمودها الفقري وكيانها...وبقية الأجزاء جيء بها من أجله ومهمتها إنجاحه وتثبيت آثاره»⁴.

يتناول الخطيب في العرض موضوعه مبيناً فيه وجهة نظره مع تدعيمها بالحجج والبراهين من أجل تحقيق الغرض الذي وضعت من أجله الخطبة، فالعرض يجب أن يكون مستوفياً

¹ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، دار الكتاب العربي، دمشق، دط، ص288.

² - المرجع نفسه، ص290.

³ - عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص48.

⁴ - المرجع نفسه، ص50.

لعدة شروط تتمثل في ترتيب الأفكار من الفكرة البسيطة والثانوية إلى الفكرة الرئيسية واستعمال أدلة واضحة واعتماده على المشاركة الوجدانية وإثارة العاطفة....¹

3-3- الخاتمة:

هي آخر شيء في الخطبة، تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الخطيب في خطبته من أجل أن تترسخ في أذهان المستمعين «وعلى الخاتمة أن تكون قوية في تعبيرها وفي إقائنها لأنها آخر ما يطرق سمع الناس ويبقى في أذهانهم»².

وقد يكون الختام عبارة عن دعاء مثل خطبة الحجاج الوعظية التي ختمها بالدعاء حيث قال: «جعلنا الله وإياكم من الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخزوا عليها صمًا وعميانا»³ وقد تأتي الخاتمة أحياناً عبارة عن أبيات شعرية كخطبة الحجاج لما مات ولداه محمد ومحمد في يوم واحد حيث قال:

عزائي نبيُّ الله من كل ميت **** وحسبي ثواب الله من كل هالك

إذا ما لقيتُ الله عني راضياً **** فإن سرور النفس فيها هنالك⁴

وقد يكون الختام غير ذلك.

¹ - عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص55.

² - المرجع نفسه، ص55.

³ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص296.

⁴ - المرجع نفسه، ص295.

3/مميزات الخطبة:

- 1 أن تكون الخطبة مرتبة ترتيباً منطقياً مقدمة، عرض، وخاتمة.
- 2 أن يكون الحديث مقنعاً يشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي يدعو إليها الخطيب كما يجب أن تتوفر على عنصر الاستمالة، « فالإقناع وحده لا يكفي لنجاح الخطبة بل لا بد من جذب السامعين لإشباع الفكرة واستمالة عواطفهم نحوها »¹.
- 3 وضوح العبارات وظهور معانيها، «بحيث يكون الغرض الذي يهدف إليه مفهوماً للسامعين، وانتقاء الألفاظ الجزلة والتراكيب القوية البعيدة عن الصناعة والتكلف»²، وهذا ما تتميز به الخطابة في العصر الأموي، حيث اتسمت خطبهم بعدة مميزات تتمثل في «قوة العبارة وحرارتها، وقصر الجمل ليشد وقعها ويتلاحق تأثيرها وحتى لا يتشتت ذهن المتلقي ولا يشق عليه فهمها، وأيضاً العناية بالوقع والرنين، ويغلب على خطبهم الإيجاز المعتدل ويقل فيه التوسط القريب من الطول وتندر فيها الخطب المسهبة المطولة»³.
- 4 كما تتضمن الخطبة عنصر التخيل والتصوير وذلك من أجل إقناع السامعين واستمالتهم «وذلك لإبراز أفكارهم وتوضيحها وتجسيمها في قوالب من التخيل ومن التضاد»⁴؛ أي أن الصورة الفنية تلعب دوراً مهماً في التأثير الوجداني.
- 5 تختلف ألفاظ الخطبة وعباراتها بحسب المقام الذي تقال فيه فخطب التهديد والوعيد مثلاً تستخدم ألفاظاً قوية غليظة مثل ما نجد في خطب الحجاج، وخطب التعزية أو النكاح مثلاً تستخدم ألفاظاً لينة تناسب ذلك الموقف.

¹ - عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص13.

² - المرجع نفسه، ص23.

³ - أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص284.

⁴ - أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار النهضة، دط، 2002م، ص220.

4/ الخطابة السياسية في العصر الأموي:

استمرت الخطابة في العصر الأموي على ازدهارها، وسجلت الخطابة السياسية تفوقاً على ما عداها من الخطب، حيث تعتبر من أهم أنواع الخطابة الأكثر انتشاراً في هذا العصر حيث ازدهرت في أوائل العصر الأموي ازدهاراً كبيراً متأثرة بالأحداث السياسية واشتداد الأزمات وتتابعها، ولا ريب أنّ هذه الأحداث قد أدت جذوة الخطابة السياسية وكان لا بد أن تزدهر ويتعاضم شأنها ويتسع نطاقها، وهي من النوع الذي تنتمي إليه خطب الحجاج بن يوسف الثقفي، ويدور هذا النوع من الخطابة «حول الشؤون العامة للدولة»¹؛ أي الخطب التي تلقى من أجل معالجة القضايا المتعلقة بالسياسة في بلد ما.

كانت تلقى هذه الخطب في العصر الأموي في المساجد والساحات وفي الأسواق وغيرها من الأماكن العمومية التي ينظر فيها الخطيب السياسي ورجال الشورى في شؤون الدولة وأمور الرعية لسن القوانين وتنظيم الدوائر الرسمية كالمالية والعدل والحربية...، ولهذه الخطب شأن كبير فإن عليها مدار حياة الأمة ورقبها مادياً وأدبياً، «ويعتبر هذا النوع من أصعب أنواع الخطابة لأن حركات الأمة نتيجة مد و جزر منشؤه سيطرة الأفراد على الجمهور أو الجمهور على الأفراد فيتبع الخطيب هذه الأمواج أمراً أو خاضعاً لرغباتهم فلا هو موقن بالنجاح كل الإيقان ولا يبأس منه كل اليأس»².

ولو رجعنا إلى الجذور التاريخية للخطابة نجدها قد انتشرت وازدهرت عند العرب بقيام العصبية القبلية بين الهاشميين والأمويين، أو بالأحرى إثر نشوب الفتنة بين علي ومعاوية والخوارج وزادت الخطابة السياسية ازدهاراً مع قيام الخلافة الأموية إذ عمد الأمويون

¹ - أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص5.

² - علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار النصر للطباعة الإسلامية، دط، 1984م، ص82.

لاستخدامها لإقرار حقهم في الخلافة، حيث «كان للحزب الأموي خطباؤه يدعون إلى طاعته، ويعلنون حقه في الخلافة ويناهضون مناوئيه، ويهددون الخارجين والمارقين»¹

ومن أشهر الخطباء في العصر الأموي نجد « معاوية بن أبي سفيان وعتبة بن أبي سفيان وزيد ابن أبيه، والحجاج بن يوسف الثقفي»².

ومن خصائص الخطيب السياسي أن يكون بصيرا بأسرار الناس خبيرا بميولهم والإمام بأسرار الدولة واتجاهاتها الداخلية والخارجية وحدة الخاطر وسرعة البديهة، وأن يحسن درس الأمور التي تدور حول الدولة، ويمعن النظر في جميع وجوهها ليكون حكمه فيها عن بصيرة تامة بعيدا عن الخطأ والزلل وأن يكون حر الضمير فلا يملكه أحد مستقلا في رأيه لا مقلدا فيه لغيره، وأن يكون شجاعا ولسنا بعيداً عن الغضب، وعليه فلا بد من توفر هذه الضمانات في الخطيب السياسي وذلك ليحتفظ بولاء جمهوره.

ومنه ينطلق ديكر من مسلمة مفادها أن كل النصوص والخطابات التي تنجز بواسطة اللغة الطبيعية حجاجية، وتعتبر الخطابة خاصة السياسية منها مجالا خصبا للحجاج حيث تظهر وجوه استعماله وتتجلى طرائق اشتغاله، لكن تختلف مظاهر الحجاج من خطاب لآخر.

¹- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص359.

²- رامي منير، الخطابة عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1، 2005م، ص54.

الفصل الثاني

السلام العبادية في خطب العجاج بن يوسف الثقفي

المبحث الأول: قوانين السلام العبادية في خطب العجاج

المبحث الثاني: الروابط والعوامل العبادية في خطب العجاج

مدخل: التعريف بخطب الحجاج بن يوسف الثقفي:

كانت الخطابة الأموية سياسية بالدرجة الأولى نتيجة الاضطراب السياسي بين المسلمين الذي ساد بعد مقتل "عثمان بن عفان"، حيث وقع خلاف شديد حول الخلافة وانقسم المسلمون فرقا وأحزابا، واتخذ كل حزب خطيبا أو شاعراً ليدافع عنه وينشر أفكاره، ومن أشهر الخطباء في الحزب الأموي نجد الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ولاه عبد الملك بن مروان على العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار حيث كان يدعو إلى طاعة الأمويين وحققهم في الخلافة.

ويعتبر الحجاج من أعلام الفصاحة والبيان في العصر الأموي وهذا ما تشهد عليه كتب الأدب، حيث نجد له خطبا ورسائل وتوقيعات كثيرة في ثنايا هذه الكتب، وتعد الخطابة من أبرز السمات المميزة لشخصية الحجاج، وهذا يتضح من خلال استعراض حياته ومواقفه مع أعدائه ومع أهل العراق وأهل الشام وكانت معظم خطبه سياسية ودينية.

هناك من يعتبر أن شهرته قامت على خطبه «لأن فيها صورة صادقة لنفسيته ومذهبه في السياسة والحكم كما فيها مقدرة عجيبة على تفهم نفسية العامة وعلى التصرف في وجوه التعبير والتهويل»¹، فخطبه تمثل قمة العنف الذي وصلت إليه الخطابة الأموية.

وللحجاج خطب كثيرة كثرة المواقف التي وقع فيها، حيث نجده في كل موقف يقف مخاطبا تارة أهل العراق وتارة أهل الشام وتارة في المسجد وتارة في السوق...، ومن أكثر خطبه شهرة خطبته حين ولي على العراق، حيث دخل على أهل العراق مثلثا وألقى خطبته المشهورة "أنا ابن جلا وطلاع الثنايا" التي بواسطتها أدخل الرعب في قلوب من كان بالمسجد لما فيها من قسوة وقوة، ولذلك قال أحمد حسن بكار «فليست حجارة المنجيق بأشد وقعا على الناس من خطب الحجاج وتهديده ووعيده، لقد أوتي براعة عجيبة في تصريف

¹ - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 365.

الكلام»¹، وأيضاً خطبته في أهل البصرة، وخطبته بعد وقعة دير الجماجم، وخطبته بعد مقتل ابن الزبير، وخطبته بعد موت عبد الملك بن مروان وخطبته بعدما سمع تكبيراً في السوق يراد به الشيطان، وغيرها من الخطب الموجودة في ثنايا الكتب ككتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، والحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية لمنصور عبد الحكيم .

إن أهم ما يميز خطبه التهديد والوعيد والعنف والتخويف من أجل التأثير في مشاعرهم وإقناعهم بتغيير أفكارهم ومواقفتهم.

ومما ذكر عن طريقة الحجاج في الخطابة أنه «كان يبدأ بصوت منخفض ثم يرتفع الصوت شيئاً فشيئاً ويطلق يده مطرقة مرافقة حركة الصوت والتماع العينين وكان كلامه دائماً كلام البلاغة التي لا تطلب الاقتناع بقدر ما تطلب الإذعان والانقياد»².

¹ - أحمد حسن بكار، الحجاج في الميزان، المكتبة الوطنية الشمالية، الأردن، ط1، 2000م، ص19.

² - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص366.

المبحث الأول: قوانين السلام الحجاجية في خطبة الحجاج.

السلم الحجاجي يُبنى على التدرج في الأقوال والحجج من الأقوى إلى الأضعف غير أنّ هذا التدرج ليس اعتباطياً إذ أخضعه ديكره إلى ثلاثة قوانين رئيسية هي (الخفض، وتبديل السلم (النفي)، والقلب).

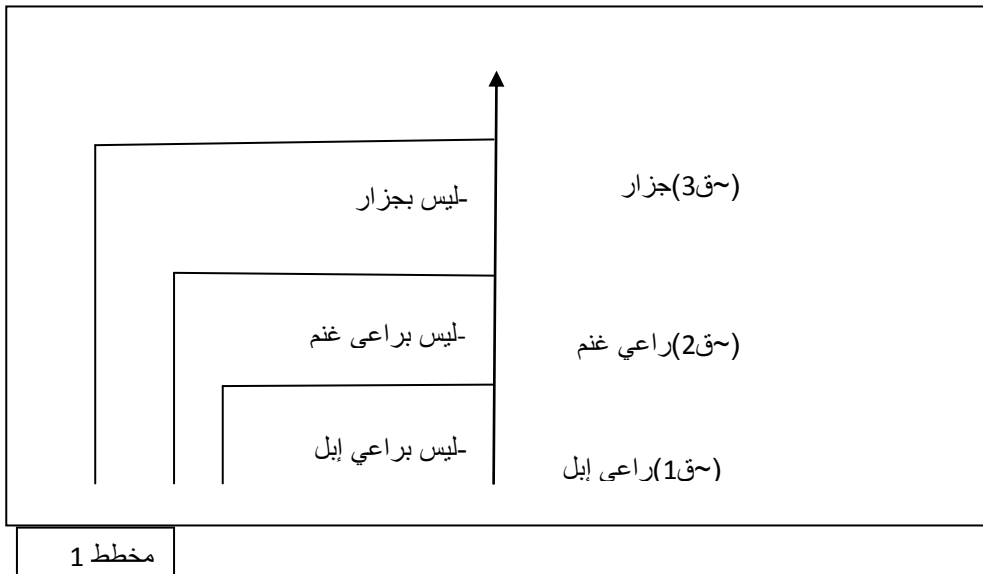
1- قانون الخفض:

وخلصته «أن صدق القول في مراتب معينة من السلم يقتضي أن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها»¹.

مثال 1: ومن ذلك نجد قوله في خطبته حين ولى العراق:

ليس براعى إبل ولا غنم ***** ولا بجزار على ظهر وضم.²

حيث عرّف الحجاج بنفسه عندما دخل على أهل العراق بأنه ليس راعي إبل ولا راعي غنم ولا هو بجزار، وبذلك نستبعد التأويلات التي ترى بأنه راعي أو جزار وإنما غير ذلك ونمّثل ذلك بالسلم التالي:



¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص277.

² - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص288.

ويمكن أن نضع له الصيغة الرمزية التالية:

كل (ق1 ← ق2) (ق2 ← ق3) (ق3 ← ق4) ... (قن ← قن+1)

مثال 2: ومن ذلك أيضا قوله في خطبته حين ولي العراق:

قد لَقَّها الليل بعصلي * * * * * أروع خراج من الدوي

مهاجر ليس بأعرابي¹

حيث يستمر في تقديم نفسه لأهل العراق بأنه مهاجر ؛ أي «خرج من البدو إلى المدن

وليس هو بأعرابي الذي بطبيعته يعتبر غرًّا ساذج ليس في تجربته كأهل المدن»².

ففي هذا المثال نستبعد بعض التأويلات من قبل أن الحجاج غرًّا ساذج كسذاجة الأعراب

حيث تؤول الجملة على النحو التالي:

إذا لم يكن الحجاج أعرابيا فهو من أهل المدن.

وهنا نشير إلى صعوبة ترتيب هذه الأقوال التي تخضع لقانون الخفض الناتج عن النفي

في سلم حجاجي واحد، وذلك لأنها لا تنتمي للفئة الحجاجية نفسها ومن ثم لا تكون في

سلمية تدريجية.

2- قانون تبديل السلم (النفي):

ومحتواه أنه إذا كان قول ما دليلا على مدلول ما، فإن نقيض ذلك القول دليل على نقيض

مدلوله، ومن ذلك نجد الأمثل التالية:

مثال 1: قوله في خطبته في البصرة «ألا وإني أعلم شراركم من البيطار بالفرس الذين لا

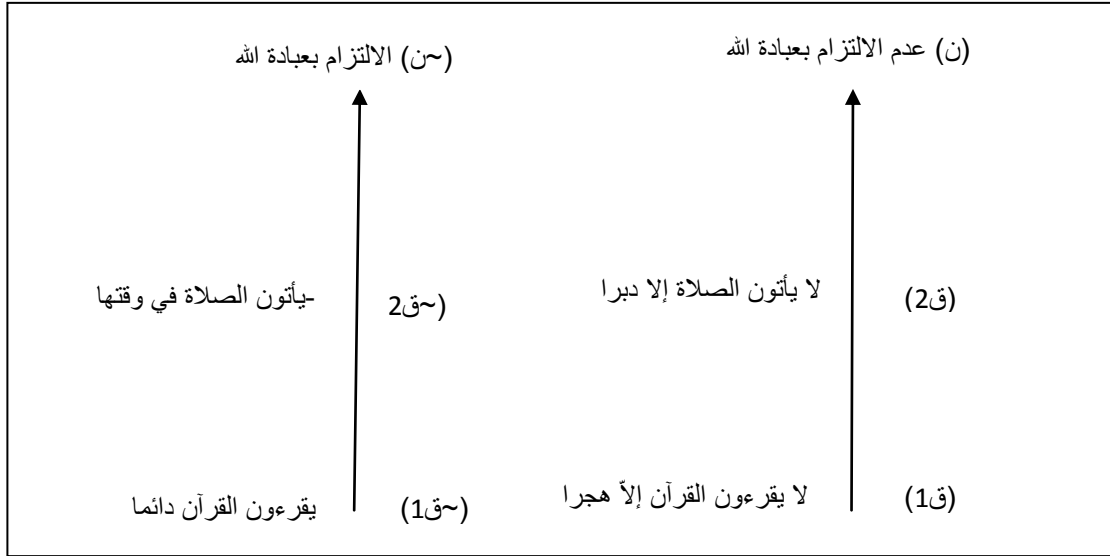
يقرعون القرآن إلا هجرا، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا»³، ونمثله في السلم التالي:

¹ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص 288.

² - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العرب الزاهرة العصر الأموي، مكتبة مصطفى البابلي الحلبي

وأولاده، مصر، ط1، 1933م، ص 275.

³ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص 293.



المخطط 2

فالقول (1) يدل على أن أهل العراق والبصرة تركوا قراءة القرآن الكريم والقول (2) يدل على أنهم لا يأتون الصلاة إلا في آخر وقتها، وهذين القولين يخدمان النتيجة (ن) وهي عدم التزامهم بعبادة الله وطاعته، ونفي القول (~ 1) والقول (~ 2) يكون حجة لصالح النتيجة (ن)؛ أي الالتزام بعبادة الله، فإذا قبلنا الحجج الواردة في السلم الأول، وجب أن نقبل الحجج الواردة في السلم الثاني.

مثال 2: وقوله أيضا في خطبته بالبصرة «إن العلم يوشك أن يُرفع ورفعه ذهاب العلماء»¹.

أي: أ = ذهاب العلماء ← ن = رفع العلم.

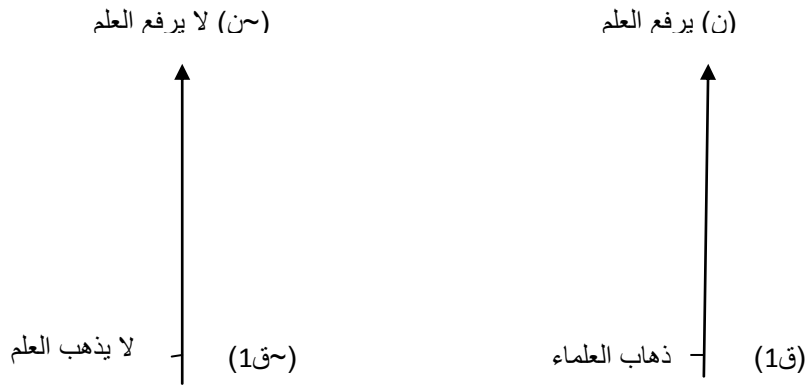
أ~ = لا يذهب العلماء ← ن = لا يرفع العلم.

فذهاب العلماء يستلزم نتيجة ضمنية وهي ذهاب العلم ورفعه، ونفي القول يكون حجة

لصالح النتيجة (ن).

نمثل ذلك في السلمين الحجاجيين التاليين:

¹ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص 293.

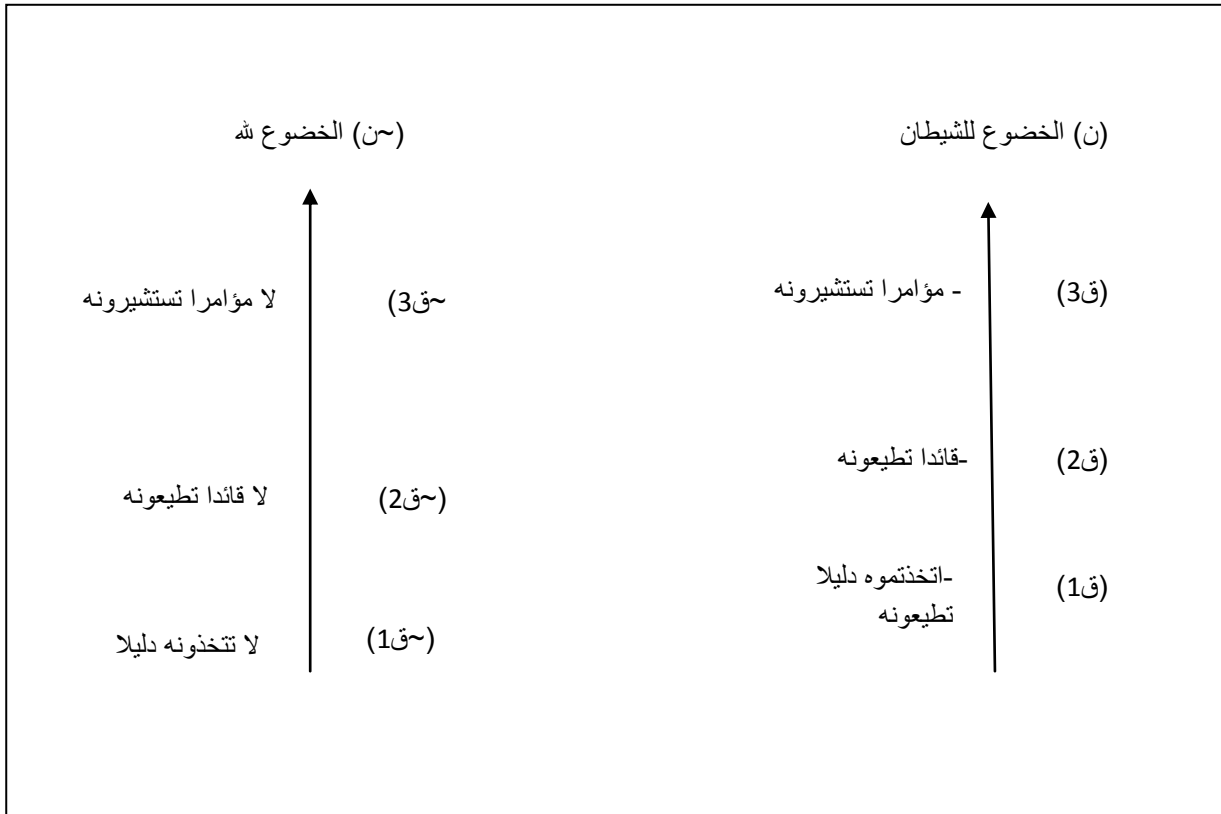


المخطط 3

ومنه: (ق1 ← ن) ونفي القول (1~) دليل على نقيض مدلوله (ق1 ← ن).

مثال 3: وقوله في خطبته بعد واقعة دير الجماجم « يأهل العراق إن الشيطان قد استنبطكم... اتخذتموه دليلاً تتبعونه، وقائداً تطيعونه، ومؤامراً تستشيرونه»¹.

ونمثل القول في السلمين التاليين:



مخطط 4

¹ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص 290.

ومنه ف (1-2-3⇐ن)، ونفيه (1~، 2~، 3~⇐ن).

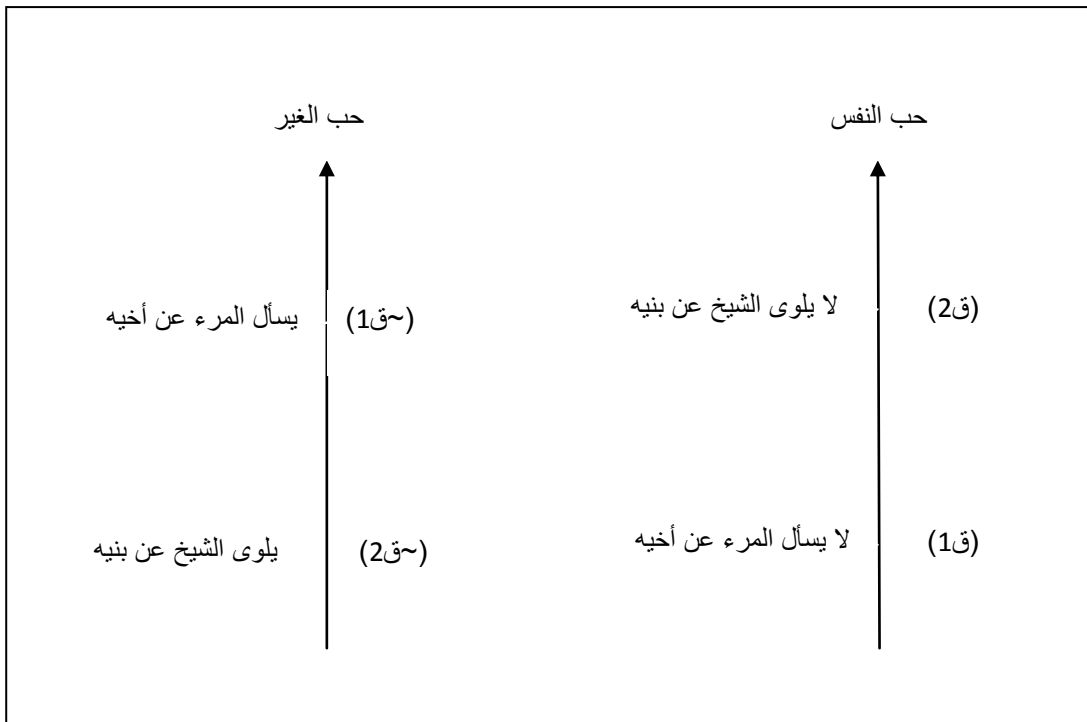
فحجج الحجاج (1، 2، 3) جاءت متدرجة عبر السلم الحجاجي لتخدم نتيجة معينة وهي خضوع أهل العراق واستسلامهم للشيطان ووساوسه، فإن نفي الأقوال (1~، 2~، 3~) تكون حجج لصالح النتيجة المضادة وهي أن الخضوع يكون لله.

3- قانون القلب:

ومحتواه أنه «إذا كان قول أقوى من آخر في التدليل على مدلول ما فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول»¹.

مثال 1: ومنه قوله: «لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوى* الشيخ عن بنيه»²، ونمثل ذلك في

السلمين التاليين:



مخطط 5

¹ - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص 278.

* - لا يلوى: لا يقف ولا ينتظر.

² - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص 291.

ففي الحرب لا يسأل المرء عن أخيه بل يسأل لا يسأل حتى عن أبنائه، فعدم سؤال المرء عن أبنائه أقوى حجة على أنه يهتم بنفسه فقط، لأن الأبناء أعز من الإخوة، في حين أن سؤال المرء عن أخيه أقوى حجة على سؤال الشيخ عن بنيه.

المبحث الثاني: الروابط الحجاجية في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي

1- الروابط الحجاجية:

الروابط الحجاجية هي «المؤشر الأساسي والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤثر له في بنية اللغة نفسها»¹، وتحتوي اللغة العربية كما ذكرنا على عدة روابط حجاجية يمكن أن نذكر منها مايلي: بل، لكن، لا سيما، حتى، لأن، بما أن، الواو، الفاء، اللام، كي،... تعمل هذه الروابط على الجمع بين ملفوظين أو أكثر جرى سوقهما في إطار استراتيجية واحدة، وخطبة الحجاج بن يوسف الثقفي توجد فيها مجموعة من الروابط الحجاجية سنحاول ذكر طائفة منها وندرس استعمالاتها الحجاجية.

من أبرز الروابط الحجاجية الحاضرة في خطبة الحجاج نجد:

1/ الرابط الحجاجي "الواو": وهي من أبرز الروابط الحجاجية التي استعان بها الحجاج

في خطبه، وتتمثل ميزة الواو حسب ابن يعيش في «جمعها بين ملافيظ مشتركة في حكم واحد»²؛ أي أنه يلعب دورا هاما في اتساق النص وربط أجزائه.

مثال 1: ومن ذلك نجد قوله: «أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا»³.

حيث ابتدأ بها الحجاج خطبته حين ولي العراق، حيث وصف نفسه بصفتين «فابن جلا» دلالتها تعني الليث، سمي بذلك لوضوح أمره، وكان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع في

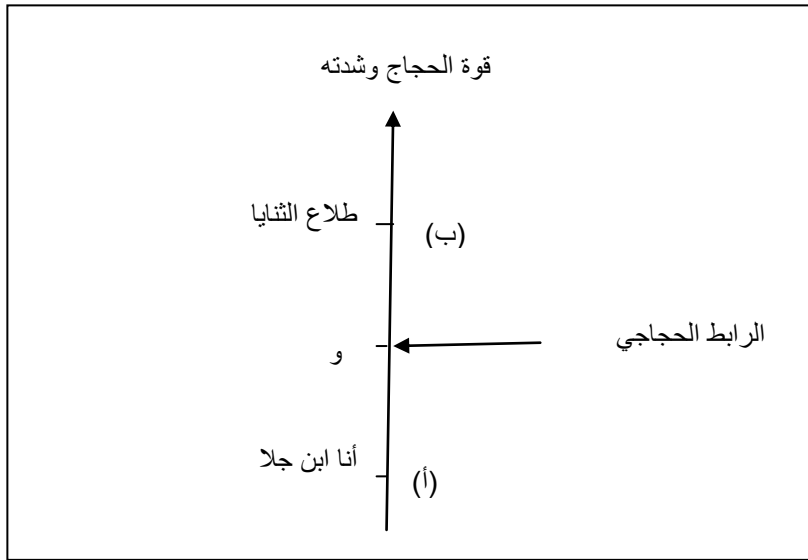
¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص55.

² - عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص100.

³ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص288.

الغارات من ثنية الجبل»¹، فالحجاج شبه نفسه بالأسد في وضوح أمره وبالرجل الشجاع الذي يطلّع في الغارات من ثنية الجبل.

وانتقل إلى صفة أخرى بعد الواو وهي "طلّاع الثنايا" «ودلالاتها تعني "الثنايا" جمع ثنية الطريق في الرمل»²، واستعملها الحجاج ليبين أنّه جلد يطلع الثنايا رغم صعوبتها، فالحجاج ربط بين هذين الصفتين بحرف الواو لتحقيق نتيجة ضمنية تتمثل في قوة الحجاج وشدته ومنه يكون السلم الحجاجي لهذا المثال على النحو التالي:



مخطط 6

فالحجج (أ) و(ب) هي حجج متسلسلة ومترابطة بحرف الواو تبين نتيجة وثبتها.

مثال 2: ومن ذلك أيضا قوله:

«يأهل العراق، ومعدن الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق وبني الكليعة وعبيد العصا»³. هي

عبارة عن صفات وصف بها الحجاج أهل العراق وقد عملت الواو على الربط بين هذه

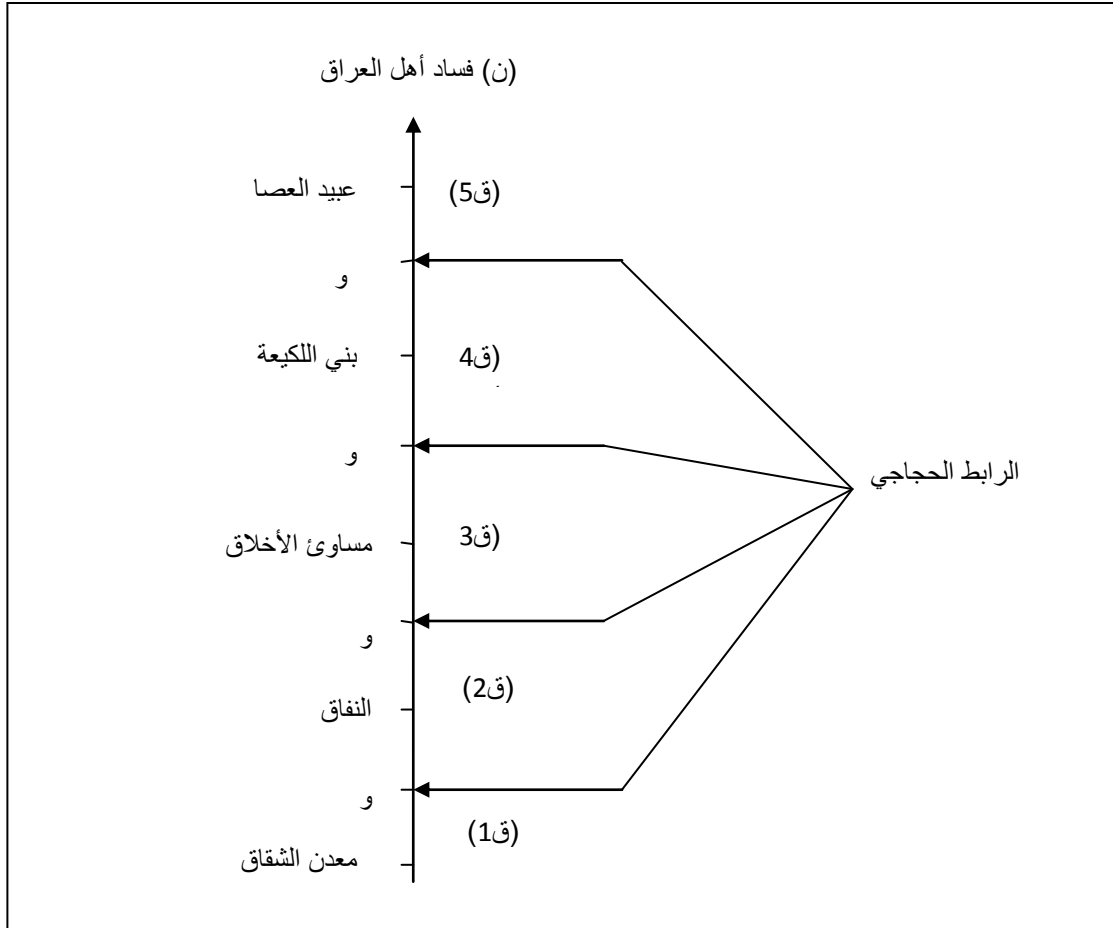
¹ - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح عبد الرحمان حمداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، ط1، 2003م، مج1، ص317.

² - المرجع نفسه، ص317.

³ - أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص138.

الصفات التي تشترك في حكم واحد وتحقيق نتيجة معينة وهي فساد أهل العراق وسوء خلقهم ونمثلها في السلم التالي:



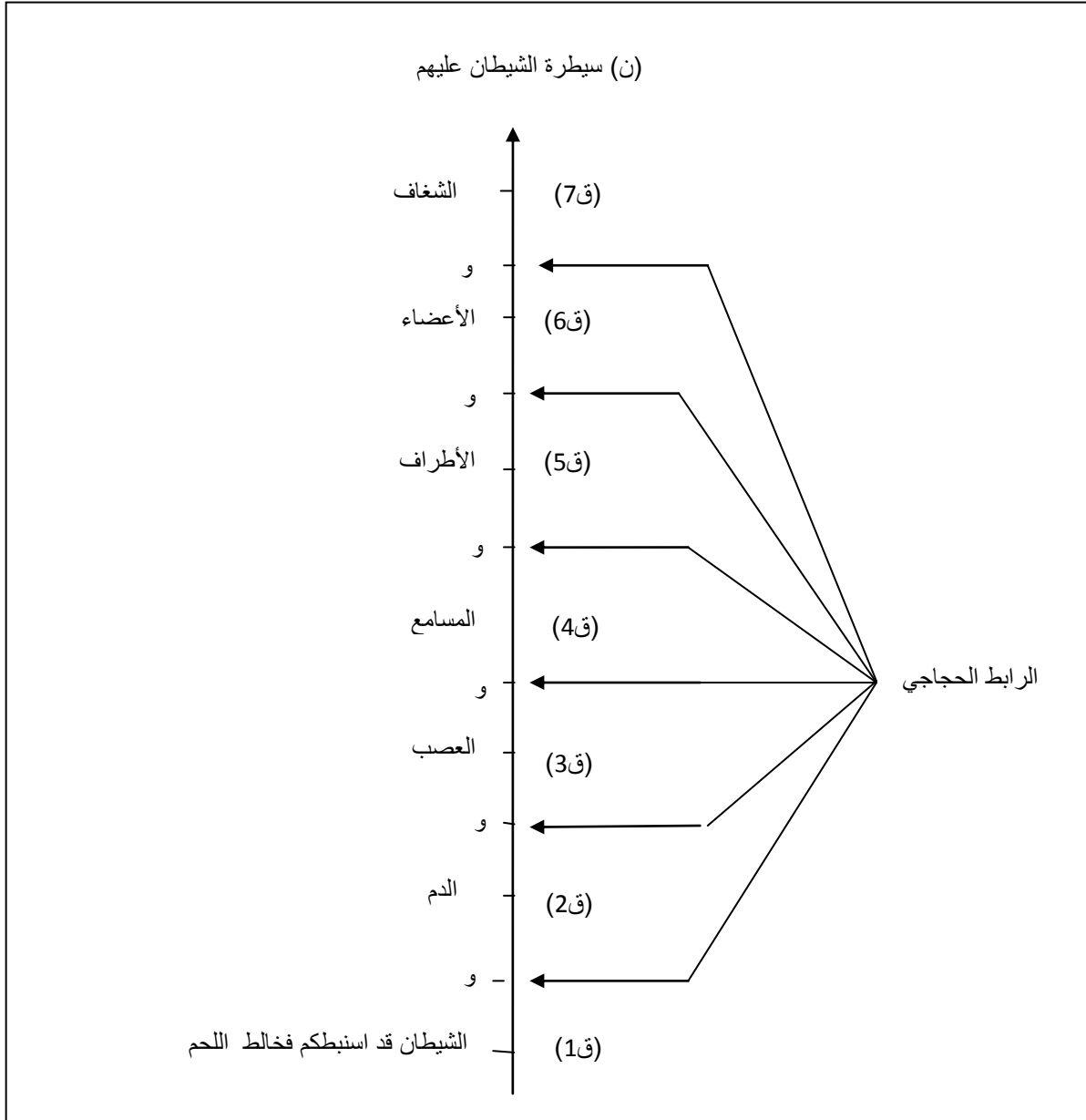
مخطط 7

فالواو هنا جمعت بين عدّة ملافيظ (1، 2، 3، 4، 5) من أجل تحقيق حكم واحد وهو فساد أهل العراق.

مثال 3: وقوله أيضا:

«إنَّ الشيطان قد استنبطكم فخالط اللحم والدم والعصب، والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف»¹.

ونمثل ذلك في السلم الحجاجي الآتي:



مخطط 8

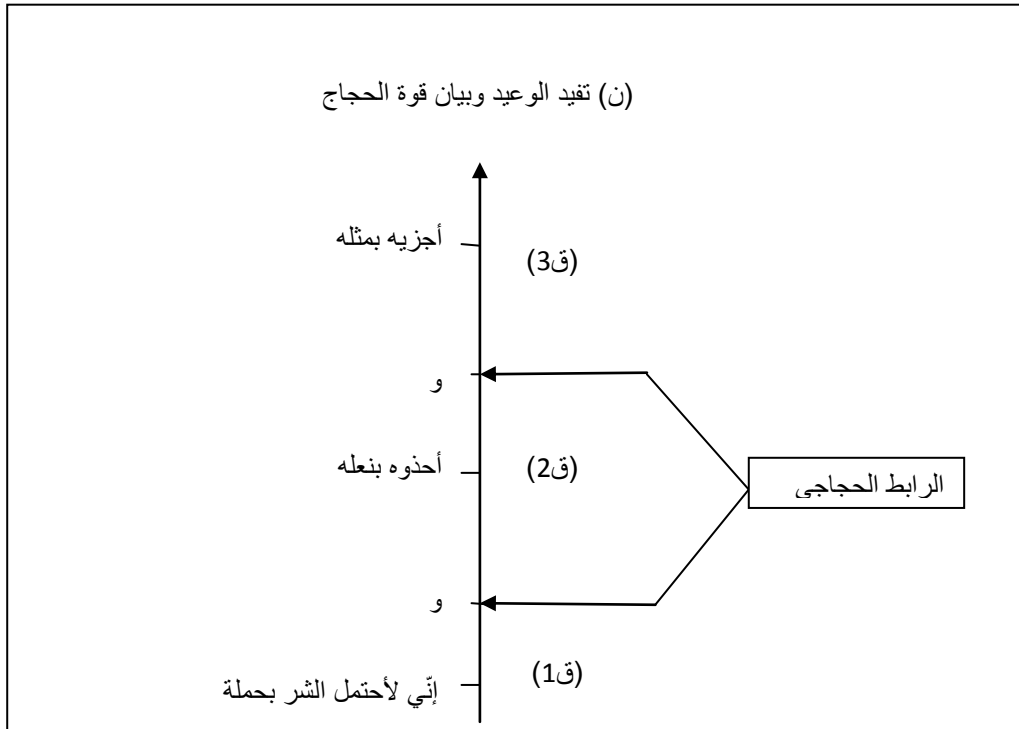
¹ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص 290.

جمعت الواو هنا بين عدّة ملافيظ، فالحجج جاءت متسقة وغير منفصلة وكذلك كل حجة تقوم بتقوية الحجة الأخرى، من أجل أن يبيّن الحجاج مدى سيطرة الشيطان على قلوب وعقول أهل العراق.

مثال 4: وقوله أيضا: «إني لأحتمل الشر بحملة وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله»¹.

فالحجاج هنا استعمل كلمة الشر التي لها دلالة معنوية فنقلها إلى الجانب المادي وأقرنها بالألفاظ (أحمل، أحذوه، أجزيه) وهذه الألفاظ متسلسلة بواسطة الرابط الحجاجي "الواو" ليبدل على أنه قادر على فعل ما يريد، وكذلك ليظهر قوته وبطشه للمتلقي وإقناعه بعدم مواجهته.

ومن القيم الحجاجية المتولدة عن العطف، وهو محاولة الحجاج نقل المتلقي من صورة إلى أخرى، إذ من دلالات العطف هو الاشتراك في الحكم، حيث ينزل المعطوف منزلة المعطوف عليه واستعمال العطف في القول دليل على القوة، وبذلك يحقق المرسل هدف الإقناع والتأثير.



مخطط 9

¹ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص 288.

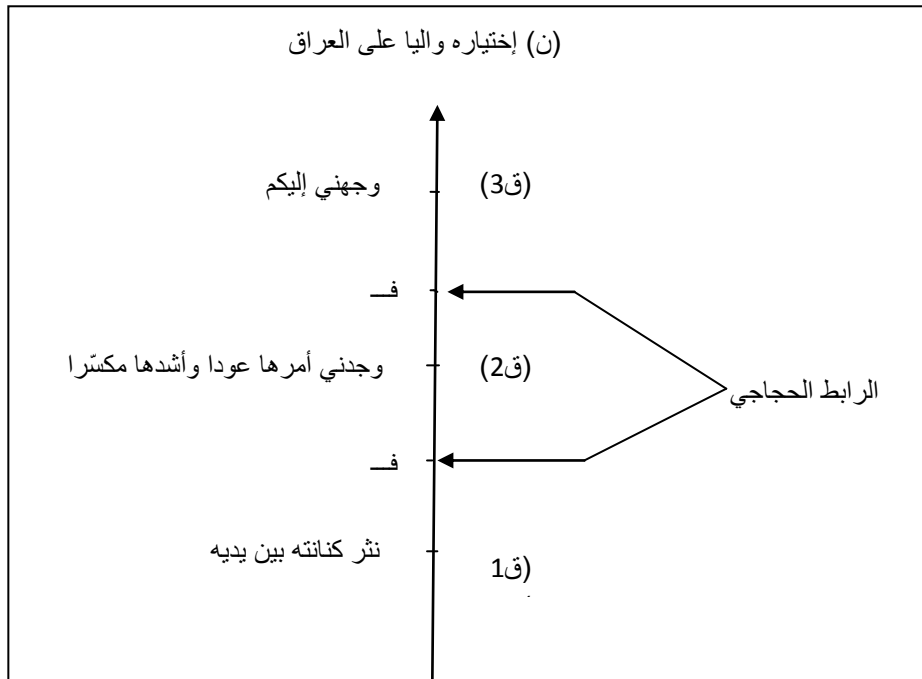
فالحجة "أجزيه بمثله" هي المناسبة للفظ الشر، وجاء بها الحجاج آخر حجة ليوضح للمتلقى مقصده ويقنعه بأنه سينجز فعله التهديدي إذا لم يصلح حاله ويغير سلوكه.

2 / الرابط الحجاجي "الفاء": قال سيبويه «هي تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو غير أنها تجعل ذلك متسقا بعضه في أثر بعض، وذلك قولك: مررتُ بعمرو فيزيد فخالد، وسقط المطر بمكان كذا وكذا فمكان كذا وكذا¹، ويعتبر الفاء أيضا حرف عطف يفيد الترتيب والتعقيب و الفور.

مثال 1: من ذلك قول الحجاج في خطبته حين وُلِّيَ على العراق حيث قال: «إنَّ أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه ثم عجم عيدانها، فوجدني أمرها عودا وأشدّها مكسّرا، فوجّهني إليكم ورماكم بي»².

تعتبر الفاء هنا سببية لأن ما قبلها سبب لما بعدها أي أن توجيهه إليهم ورميهم به جاء بسبب وجوده أمرها عودا وأشدّها مكسّرا ومنه يكون السلم الحجاجي لهذا المثال على النحو

التالي:



مخطط 10

¹ - خالد اسماعيل صاحب، الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، ص161.

² - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص289.

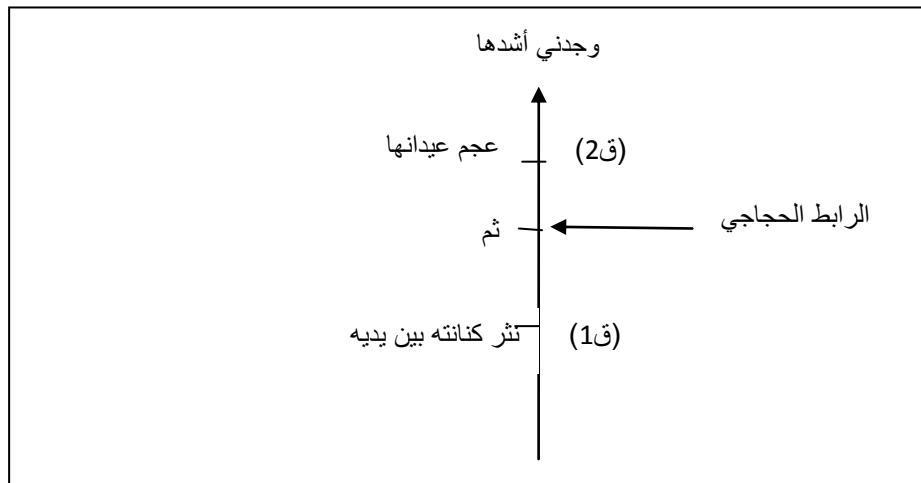
فالحجاج عطف جملي (وجدني، وجهني) على جملة (نثر كنانته) وكلاهما من الجمل الخيرية التي أفادت الترتيب في النتيجة، فأورد الفاء بعد تقديم موقعه من لدن من نصبه ثم شدّ ذهن المتلقي بسبب هذا التصيب، كما تفيد الفاء هنا الفور لأنّ تنصيبه جاء فورا بعد اختباره من طرف عبد الملك بن مروان، هذا ما زاد القول قوة وتأثيرا في ذهن المتلقي.

3/ الرابط الحجاجي "ثم": «تفيد "ثم" العطف والترتيب إلا أنّها تختلف عن الفاء في المهلة فإن المهلة معها أطول وفيها تراخ»¹.

مثال 1: من ذلك نجد قوله: «إن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه ثم عجم عيدانها»².

فالرابط هنا جاء للترتيب، فهو هنا وظف من أجل الانتقال من حالة إلى أخرى بصورة تراتبية، أي أن أمير المؤمنين اختبر رجاله ثم اختار منهم أشدهم وأقدرهم، ويظهر معنى التراخي في هذا القول في أن عملية الاختيار احتاجت إلى مهلة، فالحجاج ربط بين الحجتين بصورة تُعرف بربط الإتيان فيشير هذا النوع من الربط إلى أن العلاقة بين صورتين من صور المعلومات في علاقة تدرج، أي أن تحقق إحداها يتوقف على حدوث الأخرى.

ونمثل ذلك بالسلم التالي:



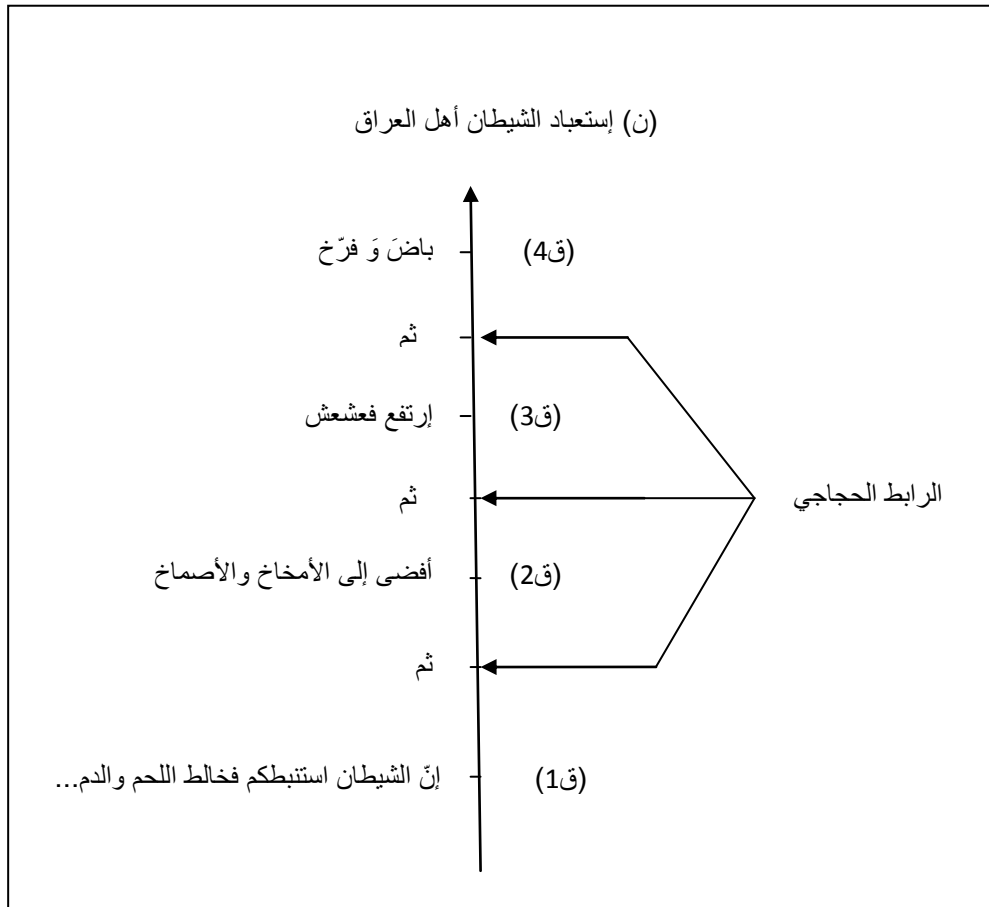
مخطط 11

¹ - خالد اسماعيل صاحب، الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، ص161.

² - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص290.

مثال 2: وأيضا قوله: «يأهل العراق إنَّ الشيطان قد استنبطكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامح والأطراف والأعضاء والشغاف ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ ثم ارتفع فعشعش ثم باض وفرّخ¹».

استعمل الحجاج هنا الرابط "ثم" من أجل ترتيب الحجج حسب المراحل التي مرّ بها الشيطان من أجل استبعاد أهل العراق، ويمكن أن نمثله بالسلم الحجاجي التالي:



مخطط 12

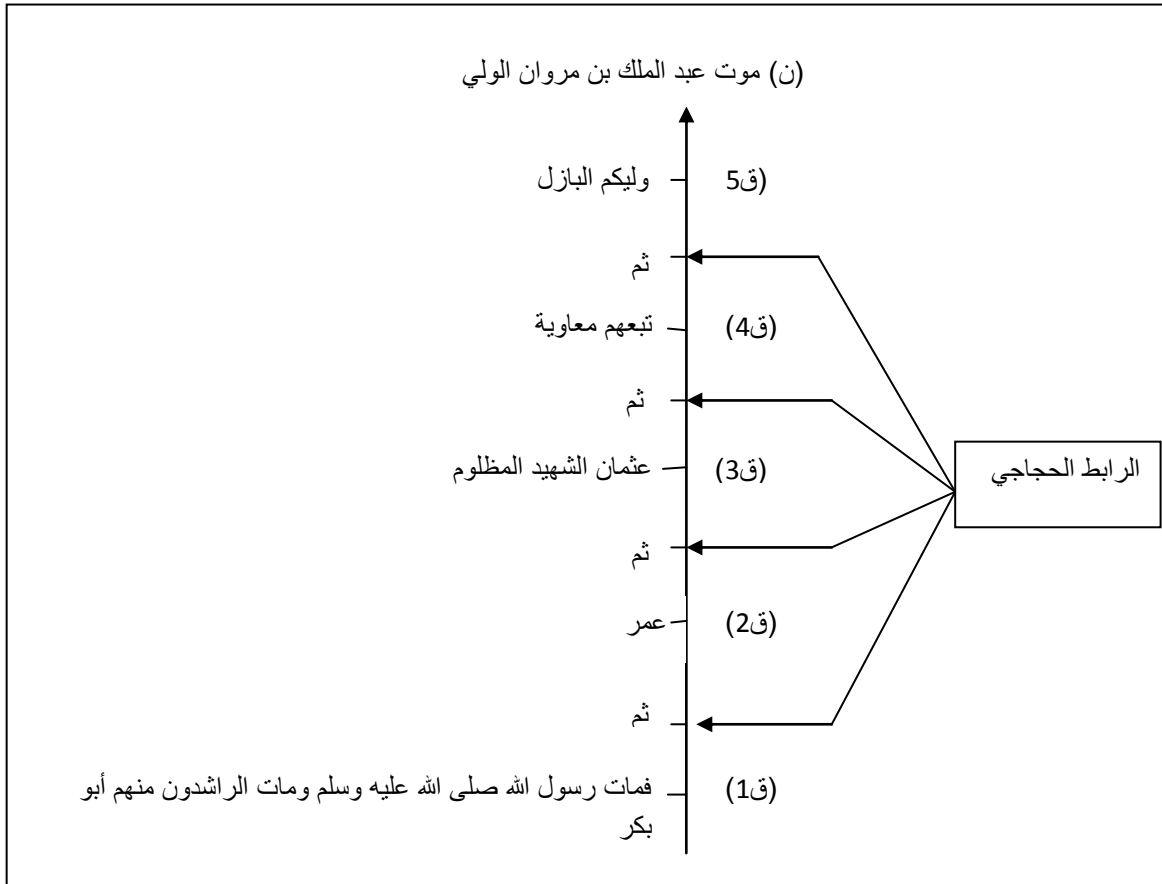
يعتبر (ق 3) أقوى الحجج على أن الشيطان استعبد أهل العراق، فالحجج هنا في علاقة تدرج من أدنى السلم إلى أعلاه ؛ أي أن تحقق إحداها يتحقق بحدوث الأخرى لأنه اعتمد

¹ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص 290.

ترتيباً زمنياً، وتحمل ثم هنا معنى التراخي لأن الشيطان أخذ وقتاً حتى استطاع استعباد أهل العراق...

مثال 3: وأيضا قوله في خطبته لما مات عبد الملك بن مروان: «فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات الخلفاء الراشدون المهديون منهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان الشهيد المظلوم ثم تبعهم معاوية ثم وليكم البازل»¹

تفيد "ثم" في هذا القول الترتيب، حيث وظفها الحجاج هنا من أجل الترتيب والانتقال من وفاة الرسول إلى وفاة الخلفاء الراشدين ثم عبد الملك بن مروان، فالحجاج هنا ربط بين الحجج بما يعرف بربط الإتياع، فالحجج هنا في علاقة تدرج حسب الترتيب الزمني وتمثل ذلك بالسلم الحجاجي التالي:

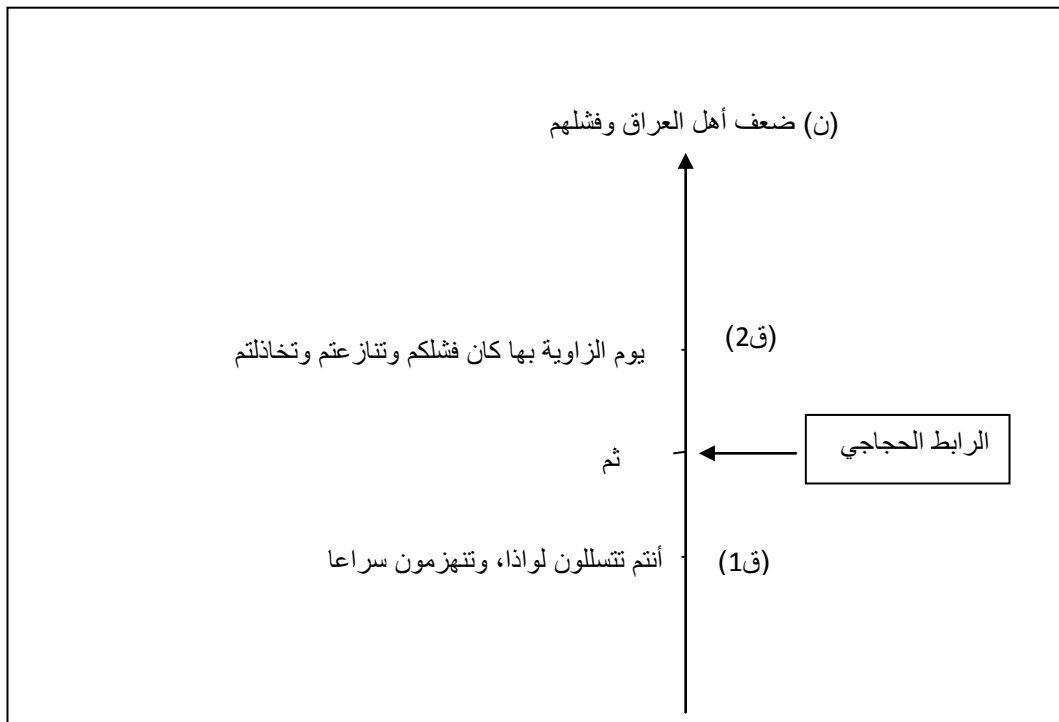


مخطط 13

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العرب الزاهرة العصر الأموي، ص 292.

فالحجاج هنا وظف حرف العطف "ثم" كرابط حجاجي عمله ترتيب الحجج وفق التسلسل الزمني للأحداث والشخصيات التاريخية وهدفها الحجاجي هو التأثير في المتلقي وإقناعه بتغيير نظرتة لعبد الملك بن مروان.

مثال 4: ومن ذلك أيضا قوله في خطبته بعد وقعة دير الجماجم: «أنتم تتسللون لوذا، وتتهزمون سراعا؟ ثم يوم الزاوية، وما يوم الزاوية! بها كان فشلكم وتنازعتم وتخاذلتم»¹.



المخطط 14

تفيد "ثم" أيضا في هذا القول الترتيب الزمني للأحداث والانتقال من التسلسل والانتهزام إلى يوم الفشل الأكبر في معركة الزاوية التي كان فيها تخاذلهم وتنازعتهم.

واعتمد الحجاج هذا الترتيب في الأقوال من أجل الإقناع والتأثير في المتلقي وبيان ضعف أهل العراق.

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العرب الزاهرة العصر الأموي، ص 292.

4 / الرابط الحجاج "لأن": يعتبر الرابط "لأن" من أهم ألفاظ التعليل ويستعمل لتبرير الفعل «فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه ويستعمل لتبرير الفعل كما يستعمل لتبرير عدمه»¹.

مثال 1: ومن ذلك قوله في خطبته حين تولى العراق: «إنَّ أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه ثم عجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأشدها مكسراً فوجهني إليكم وركمكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الظلال».

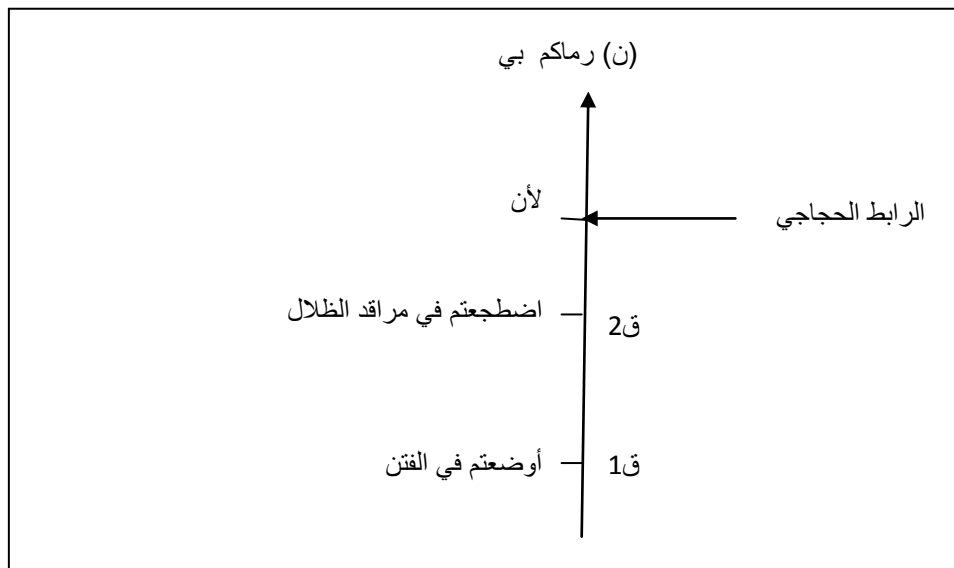
فالرابط "لأن" في هذا القول ربطت بين النتيجة والحجة.

ن = رماكم بي.

ح1 = أوضعتم في الفتن.

ح2 = اضطجعتم في مراقد الظلال.

فالحجاج هنا يبرر سبب اختياره لتولى الإمارة على العراق فأتى بهذه الحجج التي تبرر اختيار عبد الملك بن مروان الحجاج للخلافة، ونمثل ذلك في السلم الحجاجي التالي:



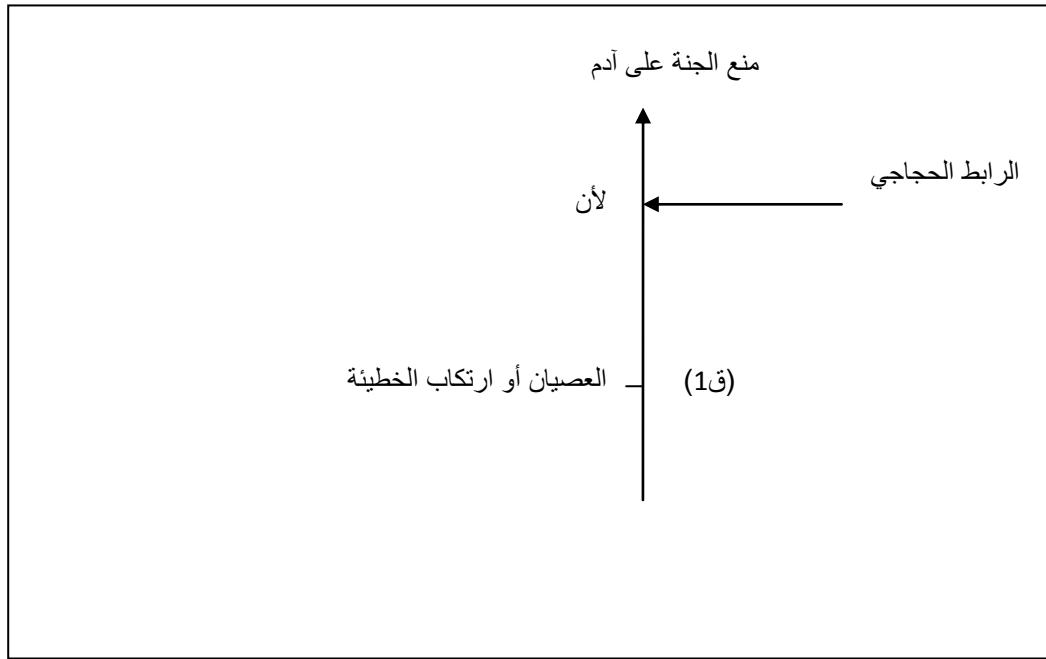
مخطط 15

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 478.

فالرابط الحجاجي "لأن" ربط بين النتيجة والحجج، فجاء بعد إلقاء النتيجة ولهذا نجد الحجج جاءت بعده لتعلل النتيجة.

مثال 2: «ولو كان شيء مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة لأن الله تعالى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وأباحه جنته، فلما عصاه أخرجها منها بخطيئته»¹.

يتكون الرابط "لأن" من حرفين هما "لام التعليل" وأداة التأكيد "أن" فهو إذن يجمع بين دلالتين لا غنى للمحاجج عنها، إذ لا بد له وهو يسوق النتيجة أن يأتي بالعلل التي تجعل الخصم يذعن للحجة ويقبل بها، وأن يعتمد إلى تأكيد كلامه حتى يزيده قوة ويرفع عنه الشك واللبس.



مخطط 16

جاء هذا الكلام في سياق تبرير الحجاج على موت ابن الزبير وعقابه، وأورد بأدلة على أن أي عاص لله مهما كانت صفته سيعاقب بذنبه حتى ولو كان آدم الذي خلقه الله بيده

¹ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص 287.

وأسجد له ملائكته وأباح له جنته فلما عصاه أخرجه منها بذنبه، وأي عاص يتوب يدخل الجنة، وقد وظف الحجاج الرابط "لأن" معتمدا على قصة آدم عليه السلام.

5 / الرابط الحجاجي "إن": تستعمل "إن" «لتأكيد الخبر وتقديره»¹، وهذه الأداة موجودة

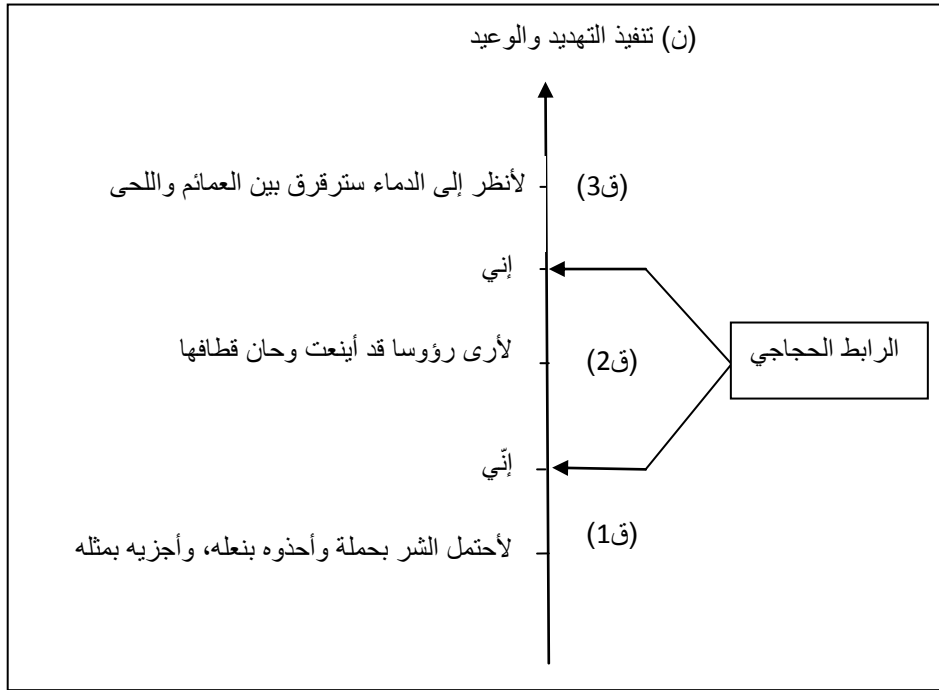
بكثرة خاصة في خطبة الحجاج في أهل العراق.

مثال 1: ومن ذلك قوله:

ح1: «أما والله إني لأحتمل الشر بحملة وأخذوه بنعله وأجزيه بمثله».

ح2: «إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها».

ح3: «إني لأنظر الدماء سترقرق بين العمائم واللحي»²



مخطط 17

¹ - محمد محي الدين عبد الحميد، شرح قطر الندى وبل الصدى، دار الخير، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص148.

² - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص288.

فالحجاج هنا استعمل أداة التوكيد "إن" في القول الأول من أجل إظهار قوته وبطشه كما استعمله في القول الثاني ليظهر صرامته في تنفيذ وعيده ثم أورد القول الثالث المسبوق "بإن" الذي يذكر فيه أنه قرب موعد الحرب أين ستكون الدماء والموت.

استعمل الحجاج التوكيد لأنه يريد تأكيد الحجج التي قدمها وتشبيتها في ذهن المتلقي واستعمل الحجاج أسلوب التوكيد لأن أهل العراق منكرين لولايته لهذا وجب عليه تأكيد حججه.

6 / الرابط الحجاجي "حتى": تفيد حتى إنتهاء الغاية، ويقول أبو بكر العزاوي بأن ديكرو وأنسكومبر أقرّا بأن «الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة أي أنها تخدم نتيجة واحدة، ثم إنّ الحجة التي ترد بعد حتى هي الأقوى وهو ما يقصد به النّحاة بقولهم أن ما يكون بعدها غاية لها قبلها، لذلك فالقول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي»¹

مثال 1: ومن ذلك نجد قوله في خطبته بعد قتله ابن الزبير حيث قال: «ألا إنّ الزبير كان من أبحار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها، وخلع طاعة الله واستكن بحرم الله»².

فالرابط الحجاجي في هذا المثال ربط بين مجموعة من الحجج وهي كالتالي:

ح1: كان من أبحار هذه الأمة.

ح2: رغب في الخلافة.

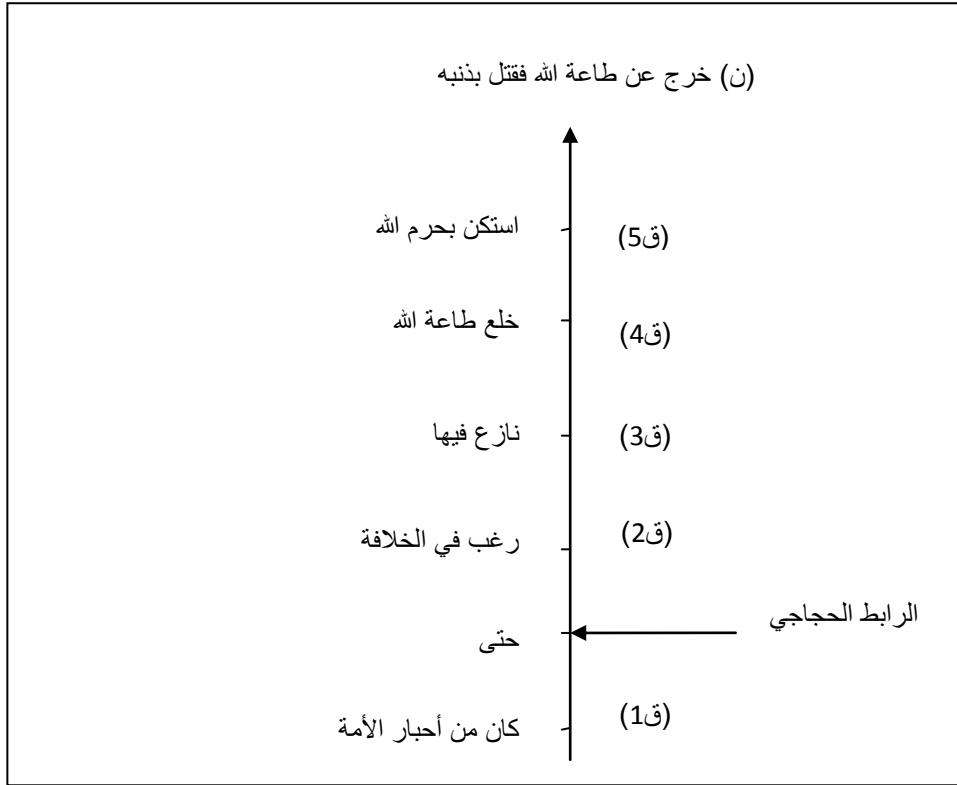
ح3: نازع فيها.

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص73.

² - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص287.

ح4: خلع طاعة الله.

ح5: استنك بحرم الله.



مخطط 18

فكل هذه الحجج الواردة بعد الرابط "حتى" تخدم نتيجة واحدة وهي أن ابن الزبير خرج عن طاعة الله فقتل، فهذه الحجج جاءت متساوقة؛ أي أنها تخدم نتيجة واحدة ونرى أن الحجج الواردة بعد "حتى" هي أقوى من الحجة التي قبل الرابط.

مثال2: وذلك في قوله: « لا يسأل المرء منكم عن أخيه ولا يلوى الشيخ عن بنيه، حتى عضم السلاح وقصمتكم الرماح»¹.

يتكون هذا القول من مجموعة من الحجج التي تنتمي إلى باب حجاجي واحد، لأنها حجج لفائدة نتيجة ضمنية من قبيل سوء أخلاق أهل العراق.

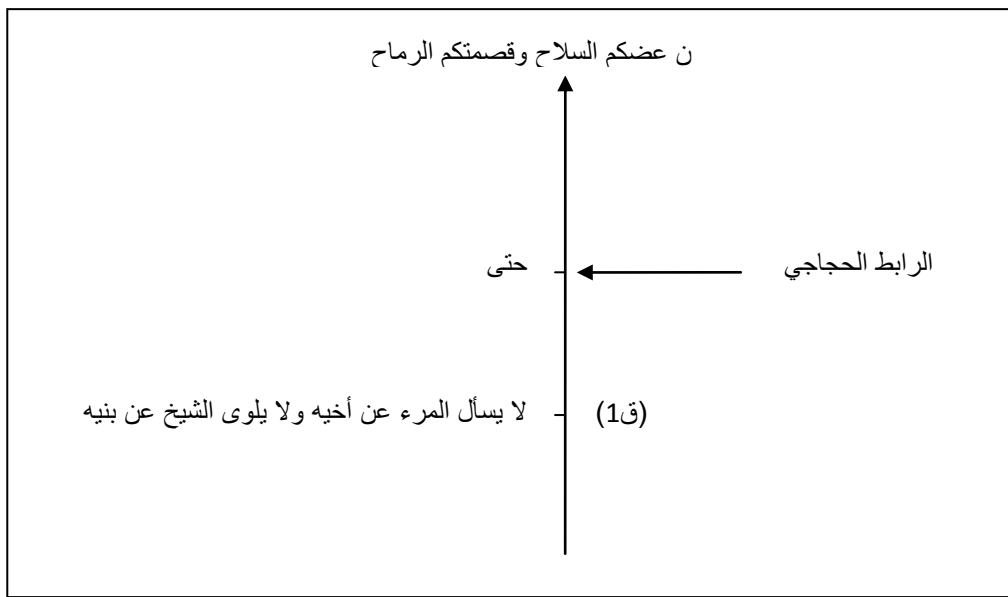
¹ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص291.

ح1: لا يسأل المرء منكم عن أخيه ولا يلوى الشيخ عن بنيه.

ن: عضكم السلاح وقصمتكم الرماح.

وقد جاء الرابط حتى ليربط بين الحجة والنتيجة وذلك ليعلل سبب انهزامهم وفشلهم بسوء خلقهم ، وتعتبر الحجة بعد حتى هي المحددة للتوجه الحجاجي العام للقول، ويمكن تمثيلها

في السلم الحجاجي التالي:



مخطط 19

وبذلك فإن الحجج المربوطة بهذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي تخدم نتيجة واحدة، وفي الغالب يكون ما بعدها غاية لما قبلها كما أن القول الذي يتضمن الرابط "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي.

7/ الرابط الحجاجي "بل": « يستعمل هذا الرابط للحجاج ولإبطال وتكمن حجاجيته في أن

المرسل يرتب به الحجج في السلم بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة لأن بعضها منفي وبعضها مثبت»¹.

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص514.

مثال 1: ومن ذلك نجد قوله في خطبة أخرى في أهل الكوفة وأهل الشام: «يأهل الشام لأزواجكم أطيب من المسك ولأبناءكم أنس بالقلب من الولد... بل أنتم يأهل الشام كما قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾»¹.

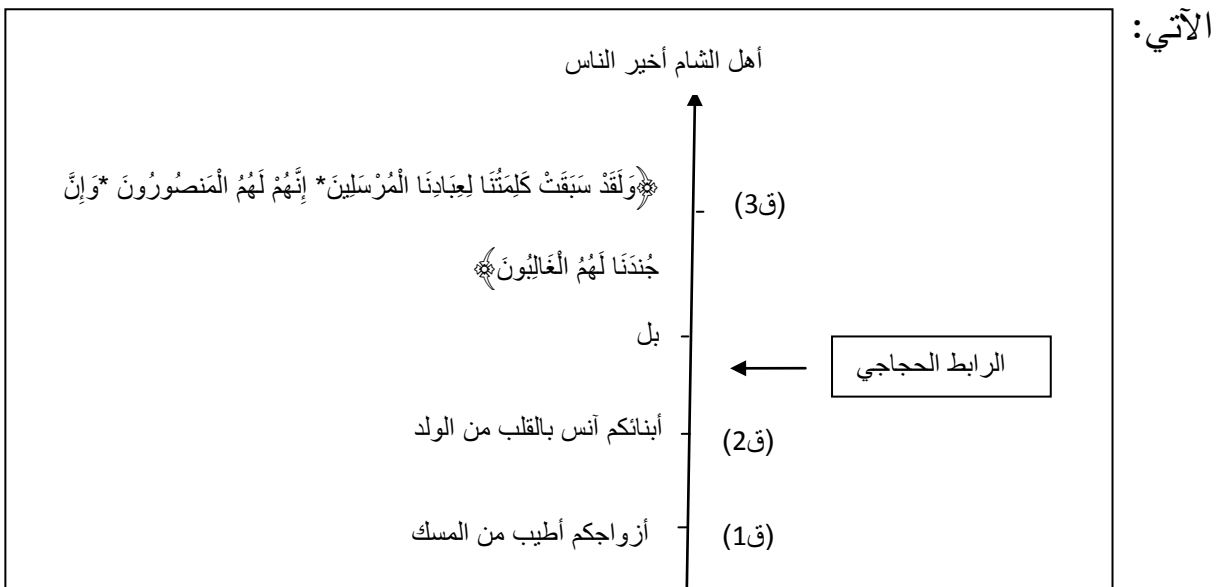
فاستخدام الرابط "بل" للربط بين جمل مثبتة يجعل الحجاج يسير في اتجاه حجاجي واحد، فالرابط بل في القول ربط بين حجج تخدم نتيجة واحدة وهي حبه لأهل الشام أما الحجج فتنتمل في:

ح1: لأزواجكم أطيب من المسك.

ح2: لأبناءكم أنس بالقلب من الولد.

ح3: بل أنتم يأهل الشام كما قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

والملاحظ أن الحجة الثالثة أقوى من الحجة الثانية والأولى ويمكن توضيح ذلك في السلم



مخطط 20

¹ - أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور الزاهرة العصر الأموي، ص289.

وعليه فإن الحجة التي وردت بعد الرابط هي أقوى حجة لأنها استشهدت بالقرآن الكريم وهو أعظم حجة، والحجة الأولى والثانية هما أقل قوة من الحجة التي بعد الرابط ولكنها تخدم النتيجة نفسها.

8/الرابط الحجاجي "إذ": ومن معانيها «ظرفية للماضي أو المستقبل وقد تكون للمفاجأة كما قد تكون شرطية جازمة مقرونة ب"ما"...، وقد تكون للتعليل حيث تقوم مقام أداة التعليل في السياق عن كونها ظرفاً لتؤدي وظيفة لام التعليل»¹.

مثال 1: ومن ذلك نجد قوله في خطبته بعد واقعة دير الجماجم:

«ثم يوم الزاوية؟ وما يوم الزاوية ! به كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عندهم إذا وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها»².

" فإذا هنا أفادت التعليل وربطت بين قضيتين فالحجاج هنا علل سبب براءة الله من أهل العراق ونكوصه* عليهم بفشلهم وخوفهم من الحرب وعودتهم إلى ديارهم كما تعود الإبل الشوارد إلى أوطانهم.

9 /الرابط الحجاجي "لام التوكيد": يعتبر "لام التوكيد" من الأدوات التي استعملها الحجاج

لتأكيد كلامه، ومن ذلك نجد قوله في خطبته حين ولي العراق:

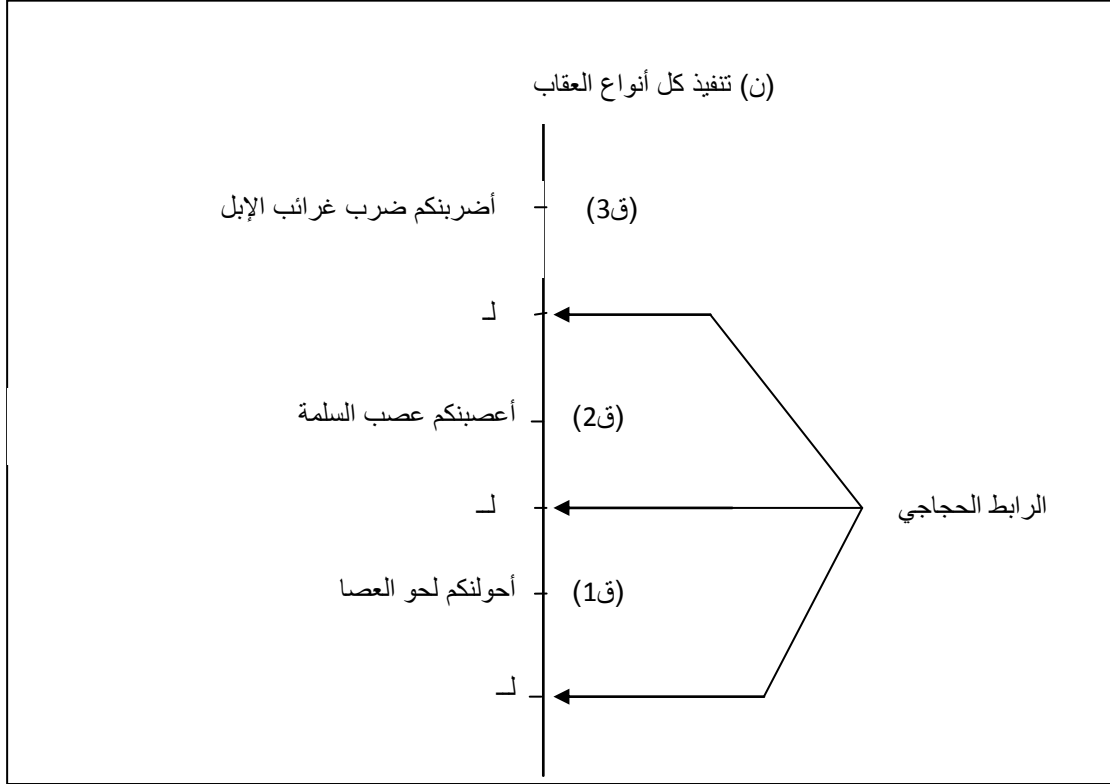
«لأحولنكم لحو العصا ولأعصبتكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون»³.

¹ - الحسين بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص185.

² - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص290.

* - نكص: النكوص: الإحجام والانتقطاع عن الشيء، ونكص الشيء: رجع عما كان عليه من الخير.

³ - المرجع نفسه، ص289.



مخطط 21

استعمل الحجاج "لام" التوكيد من أجل تثبيتها في ذهن المتلقي وإقناعه بتنفيذ وعيده ثم أورد بعد ذلك الرابط "إن" الذي يفيد التوكيد والتقرير ليؤكد لأهل العراق أن عقابه سيكون شديدا إن لم يصلحوا أنفسهم ويعودوا إلى الطريق المستقيم قبل فوات الأوان.

ب/ العوامل الحجاجية في خطب الحجاج:

العوامل الحجاجية «لا تربط بين متغيرات حجاجية؛ أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية لقول ما وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، إنما، ما...إلا، لا...إلا،...»¹، والعامل الحجاجي إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ.

ومن أبرز العوامل الحجاجية في خطب الحجاج نجد:

1/ العامل الحجاجي (لا...إلا): ينتمي هذا العامل إلى أدوات القصر وهو يتكون من

صرفمين «الأول (لا) يفيد النفي، من أجل إدخال السلب على المعنى، والثاني (إلا) يفيد الاستثناء»²، فالنفي والاستثناء يراد منه قصر الشيء وحصره بصاحبه من دون سواه، ويكون بهذه الطريقة لتحقيق فائدة التوكيد، «فالتوكيد سمة أساسية في أسلوب القصر، والحصر من أجل حصر فعالية الحجاج في وجهة حجاجية واحدة ليضيف للكلام قوة حجاجية ويكسب الجملة بعدا حجاجيا أعمق وأنجع في التوجيه نحو النتيجة الضمنية»³.

مثال 1: ومن ذلك نجد قوله: «لا يقرعون القرآن إلا هجرا، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا»⁴

فالحجاج هنا أدخل السلب على المعنى أي "لا يقرعون القرآن، لا يأتون الصلاة" ثم أدخل أداة الاستثناء "إلا" بعدها، أي قصر قراءة القرآن في الهجر و قصر إتيان الصلاة في آخر وقتها.

¹ - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.

² - عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 60.

³ - خالد اسماعيل صاحب، الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، ص 166.

⁴ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص 293.

فهو هنا استعمل النفي والاستثناء من أجل تأكيد كلامه تأكيدا حاسما يقطع به شك المخاطب، فالحجاج هنا أظهر موقفا مغايرا للأول باستعمال القصر ليظهر الحقيقة وهي فساد قومه.

2/ العامل الحجاجي (ما...إلا): يتكون هذا العامل الحجاجي أيضا من صرفين «الأول ما» يفيد النفي والثاني "إلا" يفيد الإستثناء¹، وهو نوع من أنواع القصر أيضا ويفيد التوكيد استعمله الحجاج في خطبه ليضيف للكلام قوة حجاجية.

مثال 1: ومن ذلك نجد قوله: «وما أرجو الخير كله إلا بعد الموت»².

فالقصر هنا جاء ردا على موقف معين أو أن المتكلم يُنزل المخاطب منزلة المخالف، فقد أظهر الحجاج موقفا مغايرا للأول باستعمال القصر وهو بهذا أكد أنه لا يريد خير الدنيا وإنما يرجو الخير بعد الموت، هذا ما زاد المعنى قوة وتأثيراً في المتلقي.

مثال 2: «وما رأيت الله عز وجل رضي الخلود لأحد من خلقه إلا لأهونهم عليه إبليس»³.

دخول أداة القصر (ما...إلا) على القول لم ينتج اختلافا في القيمة الإخبارية ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، فلو قال مثلا "رأيت الله عز وجل رضي الخلود لأهون خلقه عليه إبليس" وقوله "ما رأيت الله عز وجل رضي الخلود لأحد من خلقه إلا لأهونهم عليه إبليس" فنلاحظ أن القول الأول سليم أما الثاني فيبدو غريبا ويتطلب سياقاً أكثر تعقيدا حتى نستطيع تأويله، وهكذا تقلصت الإمكانيات الحجاجية وأصبح الاستنتاج العادي والممكن هو أن الحجاج قصر صفة الخلود بالموصوف إبليس

¹ - عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص60.

² - ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح عبد المجيد الترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1994م، ج4، ص211.

³ - المرجع نفسه، ص211.

3 / العامل الحجاجي (إنّما): «تفيد إنّما قصر الموصوف على الصفة»¹.

مثال 1: ومن ذلك قوله: «إني سمعت تكبيرا لا يراد به الله وإنّما يراد به الشيطان»².

فقوله هذا حصر الإمكانات الحجاجية ليصل إلى نتيجة غير مصرح بها تفهم من سياق القول، يريد الحجاج بواسطتها أن يسلم لها لا يخبره بها، فهي -إنّما- تجي لخبر لا يجله المخاطب ولا يدفع صحته حيث يقول عبد القاهر الجرجاني «لا نقوله لمن جهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقرّ به»³، تفسير ذلك أنه يقول لهم إنّما يراد بتكبيرهم الشيطان فهو لا يقوله لمن جهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه، فهو يريد هنا أن ينبههم، فاستعمال إنّما زاد القول قوة وتأثيرا.

مثال 2: قوله في خطبته بعد واقعة دير الجماجم:

«يأهل العراق إنّ الشيطان قد استتبطنكم... حيث رتمت المكر وسعيتم بالغدر... يأهل الشام، إنّما أنا لكم كالظلم الرامح عن فراخه ينفي عنها المدر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب»⁴.

تحمل إنّما هنا إثباتا ونفيا فهو هنا يثبت كرهه لأهل العراق وينفيه عن أهل الشام فبإدخال إنّما على الجملة وجّه ملفوظه إلى نتيجة محددة ومحصورة وهي حبه لأهل الشام وحمايته لهم، حيث تتمثل وظيفتها في كونها تزيد في القوة الحجاجية للملفوظ الوارد بعدها. تحفل خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي بالسلام الحجاجية و آياتها البلاغية، من روابط وعوامل حجاجية حيث ساهمت في عملية الحجاج، وساعدت على زيادة قدرة الحجاج على الإقناع .

¹ - عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص55.

² - أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ص138.

³ - عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص57.

⁴ - منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، ص290.

خاتمة

- في ختام هذا البحث نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:
- ✓ يُعد الحجاج مبحثاً من مباحث التداولية لارتباطه بالأفعال الكلامية من جهة وبالمتكلم والمتلقي من جهة أخرى.
 - ✓ أصبح الحجاج عند أنسكومبر و ديكر و يعالج في إطار لساني محض وذلك من خلال كتابهما الحجاج في اللغة، ويجعلان الحجاج كامناً في اللغة ذاتها لا فيما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب.
 - ✓ توصل ديكر و إلى أن للغة وظيفة حجاجية واعتبر أن التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية، ومنه فقد اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية مميّز ديكر و بين نوعين من هذه المؤشرات تتمثل في الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية .
 - ✓ يتضح من خلال دراستنا لخطب الحجاج أن القيمة الحجاجية للملفوظات لا تنحصر في نقل المعلومات، بل تتوقف على التوجيه الحجاجي لهذا الملفوظ الذي ينتهي بالمخاطب إلى قصد محدد، فالعلاقات الحجاجية في خطب الحجاج تتميز بالقصدية الحجاجية التي تساهم في تحديد التوجه الحجاجي للملفوظ.
 - ✓ خطب الحجاج بن يوسف هي خطب حجاجية لأنها جاءت رداً على من رفضوا ولايته عليهم، فهو يقدم الحجج بمستويات سلمية مختلفة من أجل تحقيق الإقناع والتأثير.
 - ✓ تتميز الحجج في هذه الخطب بتسلسل القضايا التي تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية التي يسعى من خلالها الحجاج إلى ترسيخ الأفكار في عقولهم.
 - ✓ ترتبت الحجج في خطب الحجاج ضمن سلم حجاجي، حيث يبدأ السلم بأضعف حجة إلى أقوى حجة في آخر الخطاب.
 - ✓ وتضمنت هذه الخطب العديد من الروابط والعوامل الحجاجية مثل الواو التي استعملها بكثرة وأيضاً الفاء و ثم وحتى، وبل وأدوات التوكيد لأن وأن وما ... إلّا، ولا ... إلّا،

وإنّما، وقد عملت هذه الأدوات على الربط بين الحجج وانسجامها داخل الخطب، وأدّت دورها الحجاجي المنوط بها، وهو إقناع المتلقي بم تحمله من آراء وأفكار.



ملحق



ملحق للرموز الواردة في البحث

الرمز	معناه
ح	حجة
ق	قول، قضية
ن	نتيجة
~	نفي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولاً: القواميس والمعاجم.

- 1 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.
- 2 أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.
- 3 بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، دط، 1997م .
- 4 جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
- 5 علي بن محمد الجرجاني، معجم التعريفات، تح ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1045هـ.

ثانياً: الكتب.

- 6- ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح عبد المجيد الترجيني، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، دط، 1994م.
- 7- أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد) ، الكامل في اللغة والأدب، تح عبد الحميد حمداوى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- 8- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح عبد المجيد التركي، دار المغرب الإسلامي، المغرب، ط2، 1987م.
- 9- أبو بكر العزاوي، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م.
- 10- أحمد حسان بكار، الحجاج في الميزان، المكتبة الوطنية الشمالية، الأردن، ط1، 2000م.

- 11- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العرب الزاهرة العصر الأموي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 1، 1933م.
- 12- أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، دار النهضة، مصر، ط 7، 2007م.
- 13- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار النهضة، مصر، ط 1، 2002م.
- 14- أرسطو طاليس، فن الخطابة، تر عبد الرحمان بدوي، منشورات الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط 1، 1986م.
- 15- إيلود إيش وآخرون، نظرية الأدب في القرن العشرين، تر محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1996م.
- 16- محمود ابن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ط 1، 1992م.
- 17- جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2014م.
- 18- جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، ط 1، دت.
- 19- حافظ اسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2010م.
- 20- الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، تح فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1992م.
- 21- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1986م.
- 22- رامي منير، الخطابة عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2005م.

- 23- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2007م.
- 24- طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
- 25- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2007م.
- 26- عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة ، ط3، 1987م.
- 27- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة ، تونس، ط1، 2001م.
- 28- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
- 29- عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان ، ط1، 2008م.
- 30- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2007م.
- 31- علي محفوظ، فن الخطابة، وإعداد الخطيب، دار النصر للطباعة الإسلامية دط، 1984م.
- 32- عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م.
- 33- عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، ط2، 1965م.

- 34- فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- 35- حمادى صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، دط، دت.
- 36- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع تونس، دط، 1984م.
- 37- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999م.
- 38- محمد العمري، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2005م.
- 39- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2002م.
- 40- محمد سالم محمد الأمين طلبية، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
- 41- محمد محي الدين عبد الحميد، شرح قطر الندى وبل الصدى، دار الخير، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
- 42- محمود محمد محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، ط1، 1997م.
- 43- منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، دار الكتاب العربي، دمشق، دط، دت.

ثالثا: الرسائل الجامعية.

44- إبتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في اللغة، باتنة، الجزائر، 2010م.

45- حسين بويلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، تخصص لسانيات الخطاب، باتنة، الجزائر، 2010م.

رابعا: المقالات والمجلات.

46- حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع2، م30، 2001م.

47- حسن خميس الملح، الحجاج في الدرس النحوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع2، م40، 2011م.

48- خالد اسماعيل صاحب، الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، جامعة ذي قار، م5، ع1، 2015م.

49- خديجة خشة، محاضرات في اللسانيات التداولية، الجزائر، دت.

50- القاسم دفت، إستراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية، مجلة المخبر، ع10، 2014م.

51- يمينة تابتي، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، مجلة الخطاب، دار الأمل، الجزائر، ع2، 2006م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع
أ-ب	مقدمة
41-4	الفصل الأول: السلام الحجاجية و الخطابة
4	المبحث الأول: الحجاج و لسلام الحجاجية
4	1 مفهوم الحجاج
4	أ - لغة
8	ب - اصطلاحا
10	ب-1 مفهوم الحجاج عند أرسطو
13	ب- 2 مفهوم الحجاج عند الجاحظ
16	ب-3 مفهوم الحجاج عند بيرلمان
21	2-السلام الحجاجية
23	1 - مفهوم السلام الحجاجية
27	2- قوانين السلام الحجاجية
31	3 -الروابط والعوامل الحجاجية
34	المبحث الثاني: الخطابة عناصرها ومميزاتها
34	1 مفهوم الخطابة
36	2 -عناصر الخطابة
39	3 - مميزات الخطابة
40	4- الخطابة السياسية في العصر الأموي
72-41	الفصل الثاني: السلام الحجاجية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي
43	مدخل
45	المبحث الأول: القوانين في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي
45	1 -قانون الخفض
46	2- قانون تبديل السلم
49	3- قانون القلب
51	المبحث الثاني: الروابط والعوامل الحجاجية في خطب الحجاج
51	1 الروابط الحجاجية في الخطب

70	2 العوامل الحجاجية في الخطب
74	خاتمة
77	قائمة المصادر والمراجع
83	فهرس الموضوعات



الذخيرة



يهدف هذا البحث المعنون بـ"السلام الحجاجية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي" إلى الكشف عن السلام الحجاجية وأهم آلياتها البلاغية من روابط وعوامل حجاجية، التي وظفها الحجاج بن يوسف في خطبه، استنادا إلى نظرية السلام الحجاجية التي أسسها ديكرود. حيث قمنا بوضع مفهوم موجز للحجاج عند الغرب وعند العرب، كما تناولنا في البحث نظرية السلام الحجاجية مفهومها وأهم قوانينها وآلياتها. وقمنا أيضا باستخراج السلام الحجاجية من خطب الحجاج بن يوسف الثقفي وتحليلها. وخلصنا في نهاية البحث إلى أن هذه السلام وآلياتها أسهمت إسهاما فعالا في توجيه خطب الحجاج توجيهها حجاجيا فعالا. الكلمات المفتاحية: التداولية، السلام الحجاجية، أوزوالد ديكرود، الخطبة، الحجاج بن يوسف الثقفي.

Résumé

Cette recherche intitulée : «les échelles argumentatives dans les discours d'Al-Hajjaj ibn Yusuf» vise à révéler les échelles argumentatives et ses mécanismes les plus importants, les Connecteurs et des les opérateurs argumentatifs, qui ont été employés par Hajjaj ibn Yusuf dans ses discours, en se basant sur la théorie des échelles argumentatives fondées par Ducrot.

D'abord nous avons fixé un concept bref d'argumentation chez l'occident et chez les arabes, ensuite nous avons abordés les échelles argumentatives : la définition, les lois et les mécanismes essentiels.

Nous avons également relevé les échelles argumentatives dans les discours d'Al-Hajjaj ibn Yusuf pour les analyser.

Nous avons conclu notre travail de recherche par un résultat qui montre le rôle efficace de ces échelles et leurs mécanismes dans la bonne orientation des discours d'Al-Hajjaj.

Mots-clés: Pragmatique, les échelles argumentatives, Oswald Ducrot, discours, Al-Hajjaj ibn Yusuf Atakafi.